القافلة

رجب ١٤٠٨هـ - فبراير / مارس ١٩٨٨م



المدينة الصناعية بجدة

القافلة

THE CARAVAN - FEB./MAR. 1988

رجب ١٤٠٨هـ - فبراير / مارس ١٩٨٨م

العدد السابع - المجلد السادس والثلاثون

مجلة ثقافية
تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

توزع مجاناً

المدير العام: فيصل محمد البسام
المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب
رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي
المحرر المساعد: عوني أبوكشك


المدينة الصناعية بجدة


عالم النحل


دور الحاسبات الآلية في تطوير الخدمات التعليمية

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في "القافلة" يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز اعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٨٧٤٢٤٠٩ / ٨٧٥٦٣٩٢

تنفيذ وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام - المملكة العربية السعودية
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM

المدينة الصناعية بجدة

« ١ »

بقلم : سليمان نصر الله / هيئة التحرير



أحمد محمد الشيخة،
فني مختبر، في مصنع «السنبلة».

تحتضن مدينة جدة ، لؤلؤة البحر الأحمر ، منطقة صناعية ، مترامية الأطراف ، تضم عدداً كبيراً من المصانع ، التي راحت منتجاتها الصناعية المتنوعة ، العالية الجودة ، تسهم بقسط كبير من احتياجات السوق المحلية ، وتلعب دوراً بارزاً في دعم الاقتصاد الوطني للمملكة العربية السعودية .

كان قد استعرضنا في أعداد سابقة من مجلة «القافلة» بعض المصانع القائمة في المدن الصناعية في كل من الدمام والرياض. وفي هذا العدد تكمل «القافلة» مشوارها في المدينة الصناعية بجدة، بزيارة عدد من المصانع فيها، للوقوف على منتجاتها الصناعية. ولعل من المفيد أن نذكر أن هناك مصانع عديدة تقوم في أرجاء مدينة جدة، خارج المدينة الصناعية. وهذه المصانع جميعها تحظى بالدعم المتواصل من قبل حكومة خادم الحرمين الشريفين، ويتمثل هذا الدعم بتوفير الحوافز المادية والمعنوية، والقروض، والأراضي، والتسهيلات المختلفة للمشروعات الصناعية، فضلا عن توفير سبل الحماية للمنتجات الصناعية الوطنية، واعطائها الأولوية بالنسبة للمشتريات الحكومية، وحث الشركات والمؤسسات على شراء احتياجاتها من المنتجات الصناعية المتنوعة من المصانع الوطنية الى جانب اقامة المعارض في أمهات المدن السعودية للتعريف بالمنتجات الصناعية الوطنية وترويجها. هذه الاجراءات مجتمعة، أدت الى ارتفاع مبيعات الصناعة الوطنية ارتفاعا تدريجيا ملموسا، كما ساعدت المنتجات الصناعية الوطنية على الوقوف امام السلع المستوردة، ومنافستها في أسعارها وجودتها.

مع مدير ادارة المدينة الصناعية بجدة:

كان لنا في مستهل جولتنا في المدينة الصناعية بجدة، لقاء مع مدير المدينة الصناعية سعادة المهندس احمد بكر الحبشي، وقد رحنا مع سعادته في حديث متشعب، تناول انشاء المدينة الصناعية بجدة، والمنتجات الصناعية التي تنتجها، والسياسة المتبعة في حماية المنتجات الوطنية، والخدمات التي توفرها ادارة المدينة الصناعية لاصحاب المصانع، الى غير ذلك من موضوعات دارت حول الصناعة في المملكة. فحول انشاء المدينة الصناعية قال سعادته: ايمانا من الدولة بضرورة توفير كافة التجهيزات الاساسية اللازمة للتصنيع، الذي يعد من أهم الروافد لتنويع مصادر الدخل، برزت فكرة إنشاء المدن الصناعية، وتم اختيار ثلاث منها وهي جدة والرياض والدمام. ففي أواخر الثمانينات الهجرية تم اختيار أرض المدينة الصناعية في الجزء الجنوبي من مدينة جدة، على بعد ثمانية كيلومترات تقريبا من مركزها. وتعتبر المدن الصناعية في المملكة احدى العجلات التي تسير عليها عربة الصناعة ضمن قافلة التنمية الخيرة . وجرى تقسيم الأرض التي خصصت للمدينة الصناعية الى قطع ذات مساحات متفاوتة لتستوعب المصانع المختلفة، وتم تقديمها الى أصحاب المصانع بايجار زهيد. وقامت الدولة ممثلة بوزارة الصناعة والكهرباء بتوفير التجهيزات الاساسية في المدينة كالطرق المعبدة، وخدمات الهاتف، وشبكة الكهرباء والماء، بالاضافة الى توفير خدمات أخرى كالبريد، والمستوصف، والدفاع المدني، والشرطة،



المهندس احمد بكر الحبشي، مدير ادارة المدينة الصناعية بجدة.

والبنك، والمطعم، والمسجد، ومنطقة سكنية لعمال المصانع وغيرها. ولقد بدأ إنشاء المرحلة الأولى من المدينة الصناعية بجدة عام ١٣٨٩هـ على مساحة بلغت نصف مليون متر مربع، ثم توالى تطوير المراحل الثانية والثالثة والرابعة خلال خطط التنمية الشاملة، حتى بلغت المساحة الاجمالية للمدينة الصناعية نحو ١٢ مليون متر مربع. وتبلغ المساحة المجهزة بالخدمات حوالي ٩ ملايين متر مربع، وتبلغ أطوال الطرق والشوارع في المدينة ٧٢ كيلومترا، تحف بها مساحات خضر . ونحن بصدد تجهيز المرحلة الخامسة ومساحتها مليوني متر مربع خلال السنوات القادمة بإذن الله. وتضم المدينة حاليا ١٧٠ مصنعا منتجا و ٤٨ مصنعا تحت الانشاء و ٣٥ مصنعا خصص لها أراض في المدينة. وتشمل منتجات المصانع المواد الغذائية، وصناعات النسيج، ومنتجات الجلود، والموبيليا والأثاث، والورق، والطباعة، والمنتجات الكيميائية، ومنتجات الاسمنت والرخام ومواد البناء، والمنتجات المعدنية والانشائية، والأجهزة الكهربائية، وصناعة هياكل وتجهيزات السيارات، الى غير ذلك من منتجات صناعية أخرى. وهذه المنتجات جميعها تغطي جزءا لا يستهان به من الاستهلاك المحلي. وهناك مصانع تصدر جزءا من منتجاتها الى الدول المجاورة. وحول الأيدي الوطنية العاملة في المصانع وسياسة تدريبها، قال سعادته: لا شك أن الأيدي الوطنية العاملة هي حجر الأساس في شتى المجالات وعلى كل المستويات، فالكل

يعرف ان المملكة حديثة عهد بالتصنيع ومجالات التقنية الحديثة المتطورة. وقد تطلبت النهضة السريعة التي عاشتها المملكة الحصول على الأيدي العاملة المدربة التي لم تكن متوفرة آنذاك، الأمر الذي فرض علينا الاستعانة بالعمالة الأجنبية، في الوقت الذي بدأ التركيز فيه من قبل كافة الأجهزة والمؤسسات الحكومية والخاصة، على وضع برامج التدريب والتأهيل المختلفة، اذا ما علمنا بتوفر المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني بمعاهدها الفنية والمهنية المتخصصة، بالاضافة الى الكليات المتوسطة التقنية التي افتتحتها المؤسسة مؤخرا، ناهيك عما تقدمه الدولة من اعانات ومكافآت لتدريب القوى العاملة السعودية في القطاعين العام والخاص. ان نسبة الفنيين السعوديين العاملين في المصانع هي في ارتفاع مطرد، نظرا للتشجيع المستمر من قبل اصحاب المصانع، وتوفيرهم لفرص التدريب المتخصص لهم سواء على رأس العمل أو في الخارج. وحول حماية الصناعات الوطنية وتشجيعهاقال سعادته: تتبع الدولة سياسة متوازنة بالنسبة لموضوع حماية المنتجات الصناعية الوطنية، تراعي في ذلك مستوى الانتاج المحلي من حيث الكم والكيف، وتتخذ الوسائل الكفيلة لحمايته مثل رفع الرسوم الجمركية على المستوردات الأجنبية المماثلة، وتقديم المساعدات المالية المختلفة للمؤسسات الصناعية، والدولة لا تألو جهدا في الترويج للصناعات الوطنية عن طريق اقامة المعارض، والاعلان عن المنتجات في الصحف والتلفزيون. وقد أسندت وزارة الصناعة والكهرباء أمر اقامة معارض الصناعات الوطنية الى الغرف التجارية الصناعية في مختلف أنحاء المملكة. وقد قامت هذه المعارض بدور كبير في التعريف بهذه المنتجات.

شركة فاين تول العربية السعودية المحدودة:

بدأت جولتنا في المصانع، وكانت أول زيارة لنا لمصنع (شركة فاين تول السعودية). حيث التقينا بالأستاذ يوسف سعيد الرفاعي، مديرعام الشركة، الذي حدثنا عن هذا المصنع فقال: أسس هذا المصنع الاستاذ عبدالعزيز النويصر مع شركة سويسرية منذ أربع سنوات تقريبا حيث يملك ٨٠٪ من أسهمه، وتملك الشركة السويسرية الباقي. وبدأ العمل في مطلع عام ١٩٨٧م. ورغم قصر عمر المصنع إلا أنه استطاع أن يكسب ثقة زبائنه في القطاعين العام والخاص، لما تحظى به القطع التي ينتجها من جودة عالية، يقف وراءها مهندسون وفنيون على قدر كبير من الخبرة والدراية، فضلا عن استخدام معدات حديثة جهزت بأنظمة الكمبيوتر لتوفير الدقة والسرعة اللازمتين. ومع أن شركة «فاين تول السعودية» تقوم على فكرة استثمارية تتلخص بتصنيع أجزاء ومكونات ميكانيكية متقنة وعالية الجودة ترضي تطلعات



الاستاذ يوسف سعيد الرفاعي، مدير عام شركة فاين تول العربية السعودية المحدودة، مع المدير الفني للمصنع.



يشتمل مصنع شركة فاين تول العربية السعودية المحدودة على معدات متطورة متخصصة.



صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبدالعزيز، أمير منطقة مكة المكرمة، ومعالي المهندس عبدالعزيز الزامل، وزير الصناعة والكهرباء، والاستاذ ابراهيم يوسف كردي، مدير عام شركة صناعات الأغذية والعجائن الفاخرة المحدودة «السنبلة» في حفل افتتاح المصنع رسميا.



عملية انتاج الرقائق الهشة في مصنع «السنبلة».

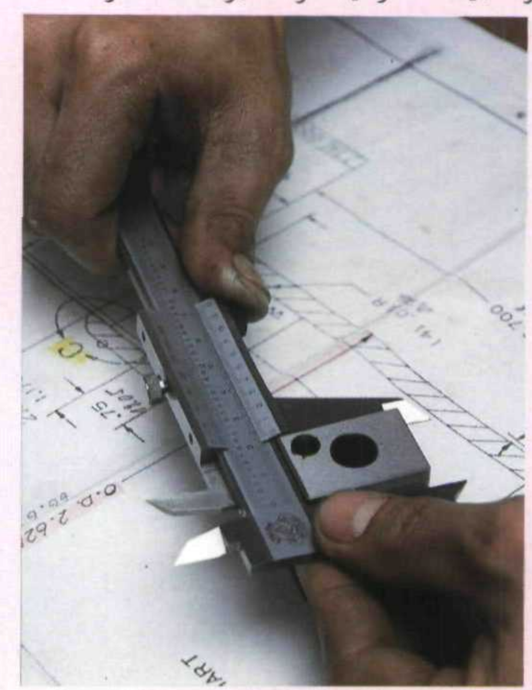
العملاء وذلك بأسعار معقولة وفي وقت قياسي، إلا أنها تعتبر بحق دعامة قوية للمؤسسات الصناعية في جميع أنحاء المملكة. كما تقدم لعملائها خدمات استشارية قيمة عبر جهازها الفني والهندسي، فيما يتعلق بنوعية القطع التي تحتاج اليها المصانع. ويشتمل المصنع على معدات متخصصة دقيقة، لانتاج مكونات المكائن وكذلك معدات الانتاج اللازمة لصناعة الأدوات المعدنية والبلاستيكية بكفاءة ودقة عاليتين. ومن بين هذه المعدات التي يشتمل عليها المصنع المخارط، ومعدات التثقيب والتفريز والتجليخ الاسطواني والسطحي، وآلات «الحث الشراري — Spark Erosion» ومعدات «المعالجة الحرارية — Heat Treatment» و «المعالجة الفراغية — Vacuum Treatment»، لاكساب القطع درجة من الصلابة تتلاءم مع المواصفات المطلوبة. ويعمل في الشركة حاليا ١٦ مهندسا وفنيا، وتقوم الشركة بتدريب الأيدي العاملة تدريبا فنيا رفيعا. ولديها مختبر مزود بأحدث أجهزة الفحص لتلافي أية عيوب في القطع التي تقدمها للعملاء.

شركة صناعات الأغذية والعجائن الفاخرة المحدودة «السنبلة»:

وسط أشجار باسقة وارفة الظلال يقوم مصنع أنيق يحمل شعار «السنبلة»، ومن هذا الشعار الجميل ادركنا ان الشركة تتعامل مع سنابل القمح الذهبية التي تنتجها أرض المملكة المعطاء. ولقد تم افتتاح مصنع «السنبلة» بتاريخ ٣ ربيع الأول ١٤٠٤هـ الموافق ٧ ديسمبر ١٩٨٣م. وقد استقبلنا في مكتبه الاستاذ ابراهيم يوسف كردي، مدير عام المصنع، الذي رافقنا في جولة بأرجاء المصنع الذي شاهدنا جانبا من محتوياته وهي في الغالب تتألف من مواد غذائية مجمدة، ومواد أولية من خضار ولحوم وأجبان وغيرها، وهنا علق الاستاذ كردي قائلا: نحن في هذا المصنع ننتج مواد غذائية، واننا اذ نحرص على جودة منتجاتنا، فان النظافة والاجراءات الوقائية المشددة تنال منا اقصى عناية واهتمام. وقد شملت جولتنا مستودع المواد الأولية مرورا بقسم تحضير الخضروات واللحوم والأجبان وغيرها من المواد لاعداد حشوات وخلطات للمنتجات، ثم بخطوط الانتاج، وانتهاء بالتعبئة والتخزين والشحن. وفي معرض الحديث عن المواد الأولية المستخدمة قال: اننا في شركة السنبلة نعتبر أنه من الواجبات الوطنية استعمال المواد المحلية المتوفرة، طالما انها تتمشى مع المواصفات المطلوبة، فنحن نستعمل الدقيق السعودي الفاخر من انتاج المؤسسة العامة لصوامع الغلال ومطاحن الدقيق، وأجود أنواع التمور، والملح النقي، علاوة على استخدام الخدمات المتاحة محليا كطباعة مواد التغليف والتعبئة. وحول الصناعة في المملكة وانشاء شركة صناعات الأغذية لصناعة وتحضير المواد الغذائية المجمدة تحدث الاستاذ كردي قائلا: لقد شمل التقدم في المملكة مجالات شتى لم تقتصر على بناء المدن، والطرق، والمواصلات، والموانيء، والمطارات، والمدارس، والجامعات، والمستشفيات فحسب، بل تعدى ذلك الى الصناعة بمختلف مستوياتها، من الصناعة الثقيلة

لتجميع السيارات، وصناعة الحديد والصلب، الى الصناعات الخفيفة، مرورا بالبتروكيميائيات والصناعات المعدنية.

واستطرد قائلا: ان الصناعة عالم مليء بالتحديات، يشعر المرء في أكثر الأحيان بالعجز والاحباط امام صعاب متعددة أسهلها إقامة المصنع وتركيب المعدات والتحضير لتجارب الانتاج، وهي صعاب ما قبل الاقلاع، أي البدء في الانتاج. فكثير من المصانع التي استكمل انشاؤها لم تستطع الاستمرار في الانتاج لاسباب عديدة منفردة او مجتمعة، كتوفير العمالة المدربة، والمواد الخام، والادارة الحازمة، والسيولة النقدية، وأسواق تصريف المنتجات، وخطط التسويق والترويج والدعاية. وبتوفيق من الله انطلق مصنعنا وهو أول مصنع سعودي لانتاج الأغذية والعجائن الفاخرة المجمدة باستخدام أحدث الآلات والمعدات. وبدأنا الانتاج التجاري في شهر يونيو ١٩٨٣م حيث تمكنا بالتدريج من تغطية مناطق المملكة، ثم لم نلبث ان انطلقنا الى دول الخليج العربية واخيرا الأردن. وتمتاز منتجاتنا بأنها مصنعة وفقا لأحدث طرق تصنيع المواد الغذائية المجمدة، حيث يتم انتاجها في مصنعنا المكيف الهواء بدرجة حرارة منخفضة، ثم يتم تجميد المنتجات في جهاز التجميد بالصدمة — Shock Freezing للاحتفاظ بالخصائص الغذائية والطعم الطازج، ومن ثم تعبأ بأحجام مختلفة في علب وأغلفة جذابة صحية، مصممة خصيصا للأغذية المجمدة لتأخذ طريقها الى الزبون أي كان. ونحن فخورون بتموين الخطوط الجوية السعودية وشركة ارامكو بمنتجاتنا المتنوعة. وتشمل المنتجات فطائر البيتزا بمختلف الأحجام والنكهات، ومختلف انواع العجائن المجمدة كعجينة الرقائق الهشة — Puff Pastry، وعجينة الحلويات — Short Crust، والعجينة الدنمركية، والسمبوسك بحشوات مختلفة



الدقة في قياس أبعاد قطع الغيار بمصنع شركة «فاين تول».



أغذية مجمدة يعدها العاملون في مصنع «السنبلة».

مؤلفة من اللحم والجبن والفواكه، وخبز الكرواسان، والكعك، وأقراص الكبة، والمعمول المحشو بالتمر، وتشكيلة واسعة من المعجنات المتنوعة، وقد لاقت هذه المنتجات قبولا حسنا لدى المستهلكين نظرا لجودتها وسهولة تحضيرها، خاصة وانها تتفوق على المنتجات الاوروبية والامريكية المثيلة من حيث الطعم وجودة المواد الأولية الطبيعية الخالية من أية مواد كيميائية أو مواد حافظة أو ملونة، أو مواد تتعارض مع الدين الاسلامي الحنيف. وهذه الاطعمة تحفظ مجمدة في درجة حرارة لا تزيد على ١٨ درجة مئوية تحت الصفر، الى حين الاستعمال. وهي فضلا عن توفير الوقت والكلفة، فهي سهلة التحضير، اذ تحتاج فقط الى التسخين والتقديم دون مشقة وعناء.

ويشتمل مصنع شركة السنبلة ضمن مرافقه وأقسامه على مختبر للجودة النوعية تحت ادارة احد الشباب السعوديين الجامعيين المتخصصين، حيث يقوم العاملون في المختبر بفحص عينات من المواد الأولية التي يتم استلامها قبل ادخالها المصنع للتأكد من سلامتها ومطابقتها للمواصفات المطلوبة، كما يقوم العاملون في المختبر بفحص عينات من الانتاج في جميع المراحل وكذلك المنتجات النهائية، ومن بين الفحوصات التي تجرى في المختبر فحوصات كيميائية وبكترولوجية لجميع الأصناف المنتجة، وفحص المياه المستخدمة في الانتاج، وفحص الهواء في اقسام المصنع للتأكد من خلوه من البكتيريا الضارة، وفحص عبوات المنتجات وفحص بصمات ايدي العمال للتأكد من النظافة الشخصية علما بأن الانتاج يتم آليا لا مجال فيه للمس الأيدي. كما أن خطوط الانتاج مزودة بأجهزة اكتشاف المعادن — Metal Detectors مهما ضؤل حجم القطعة المعدنية. ويستخدم الكمبيوتر في عملية ضبط نسب الخلطات بدقة متناهية، حفاظا على طعم المنتجات، التي تضاهي الأطعمة الطازجة بنكهتها وتتفوق عليها بسهولة التحضير.

المصنع السعودي للعطور ومستحضرات التجميل:

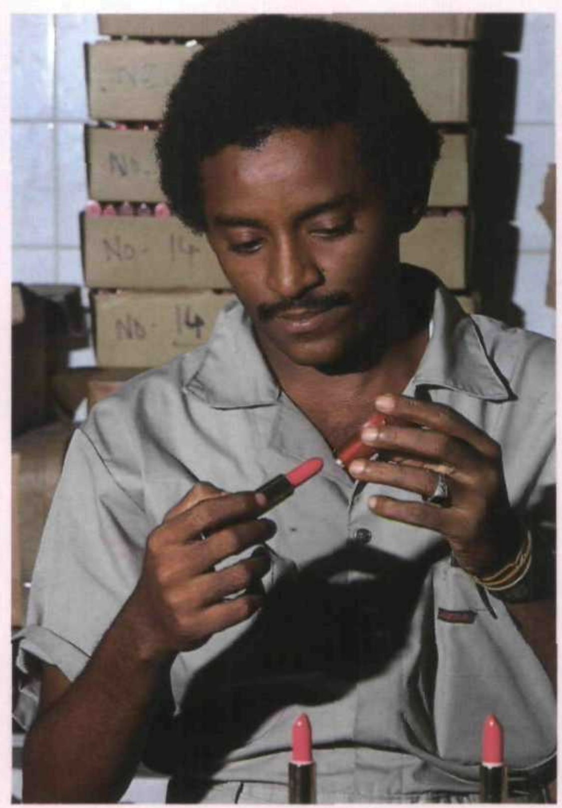
في جو مفعم بشذى العطور وأريجها الفواح، دخلنا أكبر مصنع للعطور في الشرق الأوسط، راح، بانتاجه العالي الجودة الذي لاقى رواجا كبيرا داخل المملكة وخارجها، ينافس بل يبز مصانع العطور ومستحضرات التجميل في اوروبا وامريكا. ان الاستاذ محمود سعيد، بتأسيسه لهذا المصنع في المملكة العربية السعودية اراد ان يعيد للشرق سابق أمجاده العريقة كمصدر للعطور والتوابل والمنسوجات الحريرية الراقية والزجاج والبلور الشفاف وغيرها من المنتجات المميزة التي كان ينتجها الشرق ويحلم بها الغرب في العصور الوسطى. لقد جاء انشاء هذا المصنع بعد تجربة خاضها الاستاذ محمود سعيد، حين أسس مصنعا للعطور في فرنسا، موئل العطور ومستحضرات التجميل، وذلك بدافع حبه العارم للعطور. وكان النجاح حليفه هناك رغم التحديات الكبيرة التي جابهته. ذلك النجاح في مجال صناعة العطور في فرنسا شجعه على اقامة هذا المصنع في المدينة الصناعية بجدة في مطلع عام ١٩٨٠م، تمشيا مع ركب التطور الشامل الذي تشهده المملكة وخصوصا في مجال التصنيع. وقد انشىء المصنع على مساحة تبلغ ٣١ ٥٠٠ متر مربع، وبرأس مال مقداره ٣٥ مليون ريال، وزود المصنع بأحدث الآلات والمعدات لصناعة العطور ومستحضرات التجميل بطاقة اجمالية تبلغ نحو ٤١٠٠ طن سنويا، بالاضافة الى تصنيع المواد التكميلية كعلب العطور المعدنية والأنابيب ــ Tubes بطاقة اجمالية تبلغ ١١٠٠ طن سنويا. وبالرغم من حداثة المصنع نسبيا، فقد تم انتاج تشكيلة واسعة من العطور في قوارير زجاجية انيقة للسيدات والرجال، تحمل أسماء عربية جذابة، ومجموعة مختارة من العطر البخاخ الرجالي والنسائي لكل المناسبات، وهناك اصناف عديدة من مستحضرات التجميل المختلفة، تضاهي في جودتها وفعاليتها أرقى الأنواع الفرنسية والايطالية والأمريكية ذات الشهرة العالمية، والمناديل المعطرة، ومعطر الهواء للغرف «فريشو»


ينتج المصنع السعودي للعطور ومستحضرات التجميل تشكيلة من العطور للرجال والنساء تضاهي في جودتها أرقى العطور الأجنبية.

بروائح مختلفة كالبخور والورد والياسمين، ومبيد الحشرات ذو الفعالية الرباعية «كيل ات ــ Kill It»، ومعجون الاسنان «دايموند»، ومعجون الاسنان واللثة الجديد «فلوروسواك». وفي جولتنا في المصنع برفقة السيد محمد عبدالحبيب مدير عام المصنع حدثنا قائلا: يتم تصريف نحو ٨٠ بالمائة من انتاجنا داخل المملكة ويصدر باقي الانتاج الى دول مجلس التعاون، واليمن، وجيبوتي، والعراق، والأردن، والسودان. ولعل من المفيد ان أذكر هنا أنه بالرغم من تعدد أصناف العطور ومستحضرات التجميل التي ينتجها المصنع، إلا أن ابتكار اصناف جديدة تلائم جميع الأذواق هي عملية مستمرة. والمصنع بأقسامه المختلفة يعتبر مجمعا صناعيا متكاملا لصناعة العطور ومستحضرات التجميل. فالمصنع يحتوي على قسم تصنيع وتشكيل الأغطية البلاستيكية للقوارير، وقسم تصنيع أنابيب الألمنيوم الطرية لمعاجين الاسنان والكريمات، وأنابيب الألمنيوم الاروسول البخاخة للعطور، وقسم تلوين القوارير، وخطوط تعبئة العطور والكريمات والشامبو ومستحضرات التجميل. ويمضي السيد محمد عبدالحبيب قائلا: «لقد بدأنا في هذا المصنع من حيث انتهى الآخرون، لنجعل لنا طابعا مميزا في صناعتنا، ونقود مرحلة التطور الفني والتقني في مجال صناعة العطور، لنعيد أمجادا اشتهرنا بها منذ القدم، ونريد من صناعتنا هذه أن تحمل عبير هذا الوطن وشذاه المحبب الى جميع أرجاء العالم. والجدير بالذكر ان أحدث العطور التي تم ابتكارها مؤخرا هو «عطر الرياض» الذي تم انتاجه بمناسبة اقامة «معرض المملكة بين الأمس واليوم» في القاهرة، وقد لاقى استحسانا كبيرا من جميع الفئات. ومن بين العطور ومستحضرات التجميل التي نعتز بها، الأميرة شمسي، أغراب، الليالي العربية، النعيم، روح العنبر، مسك، الواحة، ليلة خميس، اللؤلؤ، وكثير غيرها. وعدا عن ذلك، فان المصنع السعودي يشارك في الندوات التي تدور حول المحافظة على الصحة، سواء داخل المملكة او خارجها، سعيا وراء تحسين انتاجه، ومواكبة لأي تطور طبي، له مساس بمنتجاته من مستحضرات التجميل ومعاجين الاسنان. ففي شهر نوفمبر ١٩٨٧م أقام المصنع ندوة في جدة تحت رعاية الدكتور فهد ابن تركي الماضي، مدير عام الشؤون الصحية بمنطقة مكة المكرمة، ممثلا لصاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبدالعزيز، أمير منطقة مكة المكرمة، عنوانها «المحافظة على صحة وسلامة الأسنان».

شركة مصنع المحاليل الطبية المحدودة:

استقبلنا في مكتبه بوجه باش الدكتور عبدالعزيز عباس صيرفي، مدير عام المصنع، وكان لتوه عائدا من انكلترا لحضور مؤتمر حول المستحضرات الصيدلية، وهو أمر تحرص عليه الشركة لمواكبة كل جديد في هذا الميدان. وبادرنا الدكتور صيرفي قائلا: أنا لا أحسن مخاطبة الصحافة، ولكن يكفي أن أقول باختصار اننا في هذا المصنع، الفريد من نوعه

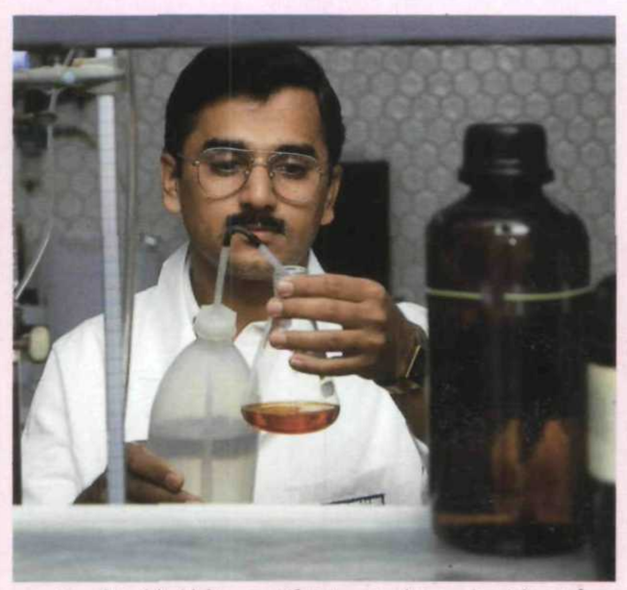


مراقبة مستحضرات التجميل تتم عبر جميع مراحل الانتاج.



منتجات المصنع السعودي للعطور ومستحضرات التجميل.

في المملكة العربية السعودية، نقوم بتصنيع وتسويق أنواع عديدة من المستحضرات الصيدلية، منها على سبيل المثال لا الحصر، محاليل وريدية تعطى عن طريق الدم، يتم تحضيرها باستخدام احدث الوسائل التكنولوجية. ولكي نحقق جودة عالية لهذه المحاليل، تقوم نخبة من الاخصائيين والفنيين العاملين في المصنع، بتحليل عينات من جميع المواد الأولية المستخدمة في انتاج المحاليل، وتحليل الماء المستعمل في المحاليل قبل الانتاج، علما بأننا نجلب أرق المواد الأولية وبأعلى درجة من النقاوة، كما أن أقصى الاجراءات الاحترازية تتخذ من قبل جميع العاملين في المصنع. ولهذا نالت محاليلنا نجاحا كبيرا لدى مستشفيات وزارة الصحة، ووزارة الدفاع، والحرس الوطني، والمستشفيات والمستوصفات والمؤسسات الصحية الخاصة، ليس في المملكة العربية السعودية فحسب، بل في بعض البلدان العربية المجاورة. وفي ختام لقائنا قمنا بجولة في أرجاء المصنع رافقنا فيها الدكتور محمد محمود كامل زكي، مدير مراقبة الجودة النوعية. وتولى الدكتور زكي شرح مراحل الانتاج وخصائص المحاليل التي ينتجها المصنع واخضاعها لسلسلة طويلة من الفحوص الدقيقة خلال عمليات الانتاج وبعدها. ودخلنا أولا قسم مراقبة الجودة الذي تتم فيه اجراء فحوص متنوعة على المواد الأولية يقوم بها فنيو القسم، الذي يضم أجهزة ومعدات علمية متطورة، منها محلل الأمينات ــ Amino Analyzer ومقياس الشدة النسبية لاجزاء الطيف ــ Spectrophotometer ومقياس



تخضع المحاليل الوريدية التي تنتجها شركة مصنع المحاليل الطبية المحدودة لفحوصات عديدة في المختبر.

الاستقطاب ــ Polarimeter وجهاز الكشف عن العناصر بتلون اللهب ــ Flame Photometer، وغيرها. وانتقلنا الى قسم الأحياء الدقيقة ــ Microbiology، ومنه الى خطوط الانتاج وصنع القوارير البلاستيكية علما بأن القوارير الزجاجية تستخدم في التعبئة، ثم قسم التعبئة والتغليف والفحص النهائي قبل التخزين والتوزيع. وكان مسك ختام جولتنا مع الدكتور محمد محمود كامل زكي في قسم تربية الأرانب التي تستخدم للتجارب.

ان شركة مصنع التحاليل الطبية المحدودة هي شركة مساهمة سعودية قامت عام ١٩٨٢م بتصنيع المستحضرات الصيدلية لسد جزء من احتياجات المملكة من المحاليل الطبية، وهي أول شركة تقام في المملكة لهذا الغرض. وهي تنتج المحاليل الوريدية ذات الأهمية الحيوية للسوق باتباع التوصيات الواردة في دليل ممارسة الصناعات الصيدلية الرفيعة المستوى، من أجل تحضير منتجات معقمة خالية من الشوائب، والكائنات الدقيقة، والبيروجين — Pyrogen المولد للحميات، مع مراعاة مطابقتها لمتطلبات ومعايير الأدوية العالمية المعروفة. وقد تم تصميم أقسام الانتاج المختلفة بحيث تطابق المواصفات البريطانية ومعايير ادارة الصحة الفيدرالية في امريكا فيما يتعلق بتكنولوجيا الغرف النظيفة. وهذه الأقسام تزود بالهواء تحت ضغط موجب، يمر من خلال مرشحات خاصة ذات كفاءة عالية. ويجري التحكم في معدل تغيير الهواء والفرق في نسبة الضغط بين المناطق المتجاورة لكي يتدفق الهواء من المناطق التي تحتاج الى احتياطات عالية الى المناطق الاقل احتياجا لمثل هذه الاحتياطات. ويولي المصنع معالجة المياه لتصنيع المحاليل الوريدية قدرا كبيرا من الأهمية، فالماء يشكل الجزء الاكبر في المحاليل المحضرة. وتتم هذه العملية بتمرير الماء خلال نظام ترشيح ميكروني أولي، ويضاف هيبوكلوريت الصوديوم بمعدل ثابت لتقليل التلوث الميكروبي قبل عملية الترشيح بالحصى. ثم تضخ المياه المعالجة خلال مرشح فحمي منشط لازالة الكلور، ومنه تمرر المياه عبر مرحلتين داخل وحدة ازالة



يعتمد انتاج المحاليل الطبية على كفاءات عالية ذات خبرة واسعة في هذا المجال.

الأملاح، حيث تستعمل الوحدات الايونية الموجبة والسالبة والمخلوطة لانتاج ماء يتميز بمعامل توصيل ضئيل، ثم تمرر المياه خلال مرشح ٠,٢ ميكرون، وتحفظ داخل خزان من الفولاذ الذي لا يصدأ قبل عملية التقطير، حيث يتم تقطير الماء المزال منه الاملاح باعتماد طريقة الانضغاط الحراري — Thermal Compression وتحفظ المياه المقطرة التي تبرد الى ٩٠ درجة مئوية بواسطة التبادل الحراري مع المياه المنقاة من الأملاح بطريقة التدفق المضاد في خزان من الفولاذ يتم فيه جريان الماء باستمرار. ويتم فحص الماء كيميائيا وميكروبيولوجيا كل يوم للتأكد من مطابقته للمواصفات الصيدلانية العالمية. أما المحاليل فيجري تحضيرها تحت الظروف الملائمة، لتقليل التلوث الميكروبي قبل مرحلة الترشيح والتعقيم النهائي. كما تعقم كافة المعدات والمرشحات التي تستعمل في التحضير. ويتم الخلط والاذابة داخل خزان من الفولاذ ومنه الى مبدل حراري لحفظه في درجة حرارة خاصة بكل محلول. والجدير بالذكر ان المواد الأولية توزن بموازين مجهزة بآلات طابعة تسجل اوزانها بدقة متناهية ثم توضع بملف مستندات التشغيل. ويتم غسل القوارير الزجاجية والسدادات المطاطية قبل دخولها غرفة التعبئة بواسطة ماكينات مبرمجة آليا. ولتجنب التلوث تتم تعبئة القوارير باعتماد طريقة التدفق



جانب من خط انتاج المحاليل الوريدية في مصنع المحاليل الطبية المحدودة.

الطبقي — Laminar Flow. ويضخ المحلول مباشرة من الخزان الى وعاء ضغط من الفولاذ في غرفة التعبئة. ثم يمر المحلول تحت الضغط الموجب خلال مرشح خرطوشي ٠,٢ ميكرون ومنه الى ماكينة التعبئة، وأخيرا يمر المحلول عبر صمامات يتم التحكم فيها بواسطة الهواء الى داخل القوارير الزجاجية، حيث تنقل الى مرحلة أخرى يتم خلالها وضع السدادات المطاطية والأغطية المعدنية آليا ثم تقفل باحكام. وتتولى عربات نقل القوارير المعبأة الى جهاز التعقيم — Autoclave، حيث يتم التحكم في دورة التعقيم آليا، ويقوم مسجل متعدد القنوات بقياس درجة الحرارة في عدة نقاط داخل جهاز التعقيم، وبذلك تتوفر سجلات دائمة لتدقيق المنتجات. وبعد مرحلة التعقيم تفحص كل قارورة على حدة تحت عدسة مكبرة باستعمال الضوء العادي والمستقطب، ثم تعزل القوارير التي تظهر فيها أية عيوب، وتسجل هذه العيوب لاتخاذ الاجراءات التصحيحية حيالها. بعد ذلك تلصق بطاقات خاصة على القوارير تبين نوع المحلول، وتاريخ

صنعه، وانتهاء صلاحيته، ومعلومات أخرى عن المحلول، توطئة لتحويل المنتجات المعبأة في صناديق من الورق المقوى الى غرفة التخزين والتوزيع. وقبل فسح المنتجات يقوم مراقبو الجودة بفحصها فحصا دقيقا لضمان جودتها.

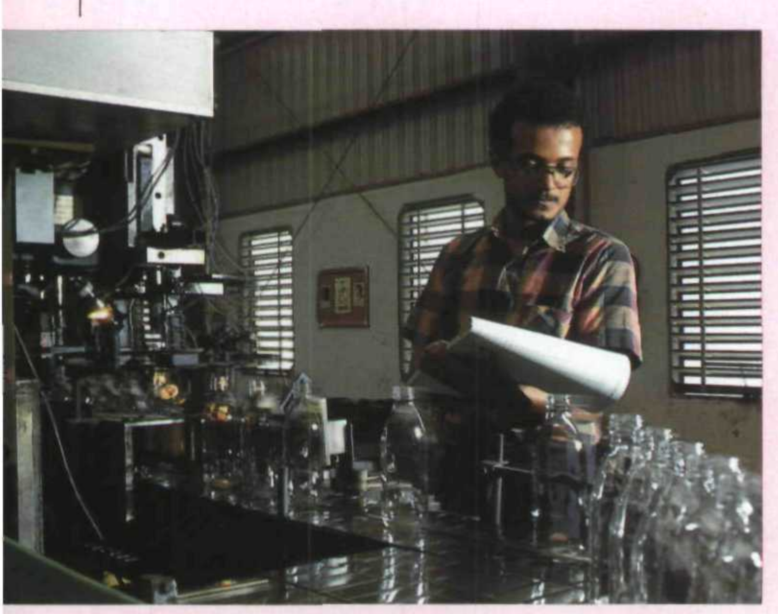
وفي ختام جولتنا مررنا على غرفة حيوانات التجارب فوجدنا نحو ١٢٠ أرنبا بين ذكر وانثى من كل لون، يزن الواحد منها نحو خمسة كيلوغرامات. ألفينا كل واحد منها مضطجعا في قفص خاص به، يأكل ويشرب وينام، محاطا بالرعاية التامة والمعاملة الطيبة النادرة. القائمون على هذا القسم يعاملون كل ارنب وأرنبة كشخصية مستقلة لها رغباتها وميولها وأمزجتها، فهذا أرنب مشاكس، وهذا وديع، وذلك مراوغ، وهذه أرنبة مرحة، وهذه لعوب، وتلك خجول، وهلم جرا، وكل منها يعامل حسب هذا المزاج او ذاك برقة متناهية. ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل ترى خبراء هذا القسم يوفرون للأرانب جوا رومانسيا هادئا، كي تتزاوج وتتوالد بلا ازعاج. كل ذلك يتم في سبيل التأكد من خلو المحاليل الوريدية من البيروجين — Pyrogen، وهي مادة تفرزها البكتيريا الميتة وتسبب ارتفاع درجة الحرارة، أي أنها تسبب الحميات. لذلك يتم في هذا القسم تجربة المحاليل على الأرانب، حيث تحقن جرعة من المحلول الوريدي في احدى اذني الأرنب، ويبقى الأرنب نحو ثلاث ساعات مستكينا تحت التجربة، تسجل خلالها حرارته وأية تغيرات فسيولوجية أخرى، ثم تقرر صلاحية المحلول على ضوء تلك النتائج.

الشركة السعودية العربية للزجاج المحدودة:

ان انتشار صناعة المرطبات في المملكة العربية السعودية اقتضى استيراد القوارير الزجاجية لتعبئة المرطبات من الخارج، وهو أمر راح يشكل عبئا على الاقتصاد الوطني، ولما كان الشيخ سالم احمد بقشان، رئيس مجلس ادارة الشركة السعودية العربية للزجاج المحدودة، يملك شركة بيبسي كولا في المنطقة الغربية ويستورد كميات ضخمة من القوارير الزجاجية، رأى من وجهة نظر اقتصادية وطنية أن يقيم هذه الصناعة في المملكة، لتلبية احتياجات مصنع البيبسي كولا الخاص به اولا ثم تلبية جزء من احتياجات مصانع المرطبات في المملكة ثانيا. واختمرت الفكرة في رأس الشيخ بقشان، وبادر الى تأسيس هذه الشركة برأس مال مشترك يملك فيها ٦٠٪ من أسهمها ويملك الشيخ علي بن سعيد المربعي ١٠٪ وتملك الشركة «ماليبان» اللبنانية ١٥٪ وتملك شركة تيرنرا سوشيتس ١٥٪. وتم إنشاء المصنع وجلبت له أحدث المعدات لهذه الصناعة، وظهرت باكورة انتاج المصنع في شهر شوال ١٤٠٥هـ. ولدى لقائنا بالاستاذ حسين عبدالله بن عفيف، نائب المدير العام، حدثنا قائلا: من العوامل الرئيسية التي شجعت على قيام مثل هذه الصناعة ان ما يربو على تسعين بالمئة من المواد الأولية اللازمة لصناعة الزجاج هي



جانب من أحد المصانع القائمة في المدينة الصناعية بجدة.



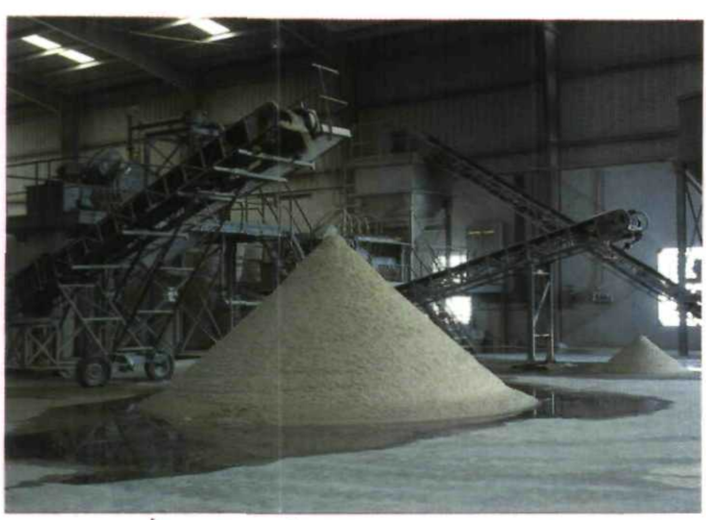
أحد المهندسين السعوديين يراقب خط انتاج القوارير الزجاجية التي تنتجها الشركة السعودية العربية للزجاج المحدودة.

مواد محلية، ويأتي على رأسها رمل السيليكا، الذي اثبتت التجارب العلمية انه أفضل رمل في العالم لصناعة الزجاج، وهو متوفر بكميات هائلة في منطقة الرياض. ويشكل السليكون نحو ٧٥٪ من مكونات الزجاج، أما المواد الأخرى فتشمل الحجر الجيري المتوفر غرب المملكة، وكربونات الصوديوم اللامائية (رماد الصودا)، والزجاج المكسر، الذي يعاد صهره وقولبته، بالاضافة الى مواد كيميائية اخرى تصل نسبتها الى ٢٪. ويعمل حاليا في المصنع ١٦٠ بين اداري ومهندس وفني، منهم عدد لا يستهان به من الفنيين المتخصصين في صناعة الزجاج. ويعمل المصنع على مدار الساعة بثلاث ورديات، ويبلغ انتاجه الحالي نحو ٢٠ الف طن سنويا من مختلف القوارير الزجاجية أو ما يساوي ربع مليون قارورة.

وفي جولتنا في أرجاء المصنع مع الاستاذ حسين عبدالله ابن عفيف، شاهدنا اولا أكوام الرمل الذي يجلب من منطقة الرياض، وكذلك أكوام الحجر الجيري المطحون. وقد لفت نظرنا نعومـة حبيبات الرمـل وهنـا قـال: يجب ان يتراوح حجم حبيبات الرمل الصالح لصناعة الزجاج بين ٠,٧ ملم و ٠,١٢ ملم، كما أن نسبة الحديد فيه يجب ألا تزيد عن ٠,٠٤٪. أما أول مراحل صناعة القوارير الزجاجية فهي مرحلة غسل الرمل وتنقيته من الشوائب، حيث يتم نقله



هكذا تخرج القوارير من الفرن شبه كتل من النار.



ينقى الرمل من الشوائب قبل خلطه بمكونات الزجاج الأخرى.

على حزام ناقل ليمر على هزاز ــ Vibrator ويضاف اليه نسبة من الماء. وتنتج ماكينة غسل الرمل نحو ١٢ طنا في الساعة. بعد تنقية الرمل من الشوائب تأتي عملية خلط مكونات الزجاج حيث يتم خلطها بنسب دقيقة بطريقة آلية مبرمجة يجري التحكم فيها من غرفة المراقبة، ثم يدخل المخلوط الى الأفران لينصهر بفعل الحرارة العالية التي تصل الى ١٥٠٠ درجة مئوية، ويغدو المخلوط عجينة لينة تنتقل الى مكائن القولبة، حيث تخرج القارورة بدرجة حرارة تبلغ ٨٠٠°م ثم تمر بعملية تبريد تدريجي. وهناك خطان للانتاج مزودان بأجهزة تكشف أي خلل في القارورة من حيث شكلها ولونها ووزنها وغير ذلك. كما يتم فحص عينات من القوارير في مختبر الجودة حيث تخضع لفحص الضغط ــ Compression Test وفحص الصدمة الحرارية ــ Thermal Shock. فاذا ما اجتازت القارورة هذه الفحوص الدقيقة تستأنف رحلتها في خط الانتاج الى أن تصل قسم التعبئة والتغليف، ومن ثم الى التخزين او الشحن والتوزيع. ولدى المصنع ورشة تقوم بتفقد القوالب لتعديلها واصلاحها. الجدير بالذكر انه يتم ايقاف المصنع كل اربع سنوات لفترة قد تصل الى شهرين لاعادة بناء الأفران. وينتج المصنع تشكيلة واسعة من قوارير المرطبات، مثل قوارير البيبسي كولا، وقوارير الفيمتو وكائيكو لمصنع مرطبات العوجان في المنطقة الشرقية، وقوارير آرسي كولا، وكوكاك، وغيرها. كما يقوم المصنع بانتاج اصناف من القوارير لمصانع العطور في المملكة، ويخطط لانتاج كاسات واكواب الشاي، وأوعية المربيات والمخللات، والأدوات المنزلية الزجاجية.

تلك كانت بعض المصانع القائمة في المدينة الصناعية بجدة، التي أخذت منتجاتها الصناعية المتنوعة تشق طريقها بكل ثقة الى المستهلك□

تصوير: علي عبدالله المبارك

ذكراك يا بردى

شعر: محمد أمين أبو بكر / الدمام

في حِضْن كل شجيرة رقصَت على ... جَنباته من سالف الأيامِ
ذِكرى تفتش في الصباح وفي المسا ... فتعود بالآلام والأسقامِ
سَلْ حورَهُ المسطورَ في أعجوبةٍ ... عن أمسيات الشِّعر والأنغامِ
وعرائس الصَّفصافِ تعزِف حولنا ... لحنَ الهناء ونفحَة الإلهامِ
ذكراك يا بَرَدىٰ شموسٌ مشرقا ... تٌ بالشَّذا من أقْدَمِ الأعوامِ
أحضانُ واديهِ تصوغ نسائما ... فيها عبيرُ سعادةٍ وغرامِ
اسأل ضِفافَ النهر في صُبْح الصَّفا ... عن همس ماء وانجلاءِ غمامِ
واسأَلْ نواعيرَ السعادة حوله ... كم زغْرَدَت بمحبةٍ ووئامِ
«بَرَدىٰ» نظمتَ لنا الزَّمان قصائدا ... صدَّاحة الكلمات والأنغامِ
بل أنتَ في أعماقِنا شلاَّل حبٍّ هادرٍ بروائع الأحلامِ
لولا عبيرُك ما نشقتُ شذىٰ الهوىٰ ... ولما سمعتُ معازِف الأنسامِ
كم قصةٍ لي في ضفافك صُغْتها ... تهتز بين جوانحي وعظامي
كم هامَ قلبي في براعِمكَ التي ... تختالُ بين أزاهر الأيامِ
كم مرةٍ صُغنا على غصْن المنى ... بين الخمائل في حِمَى الآكامِ
أحلَى حكاياتِ الربيع اغانيا ... تنساب بين ملاعبِ الآرامِ
كم وقفةٍ كانت على تلك الذُّرا ... تمحو جميع حوالِك الأعوامِ
يُرخي علينا البدرُ فيضَ شعاعِه ... فنهيمُ بين بلابل وحمامِ
وعلى لجينِ جَداوِل هدّارة ... صغنا المنى في النور والإظلامِ
انسيتَ يا بَرَدَىٰ اغاريدَ الهوى ... في غمرةِ البلْواءِ والآلامِ
أم أنتَ مثلي رغْم أحمالِ الأسىٰ ... تسعى بكلِّ مودةٍ وسلامِ

الرسالة في الشعر الجاهلي

بقلم: د. محمد عثمان الملا / جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

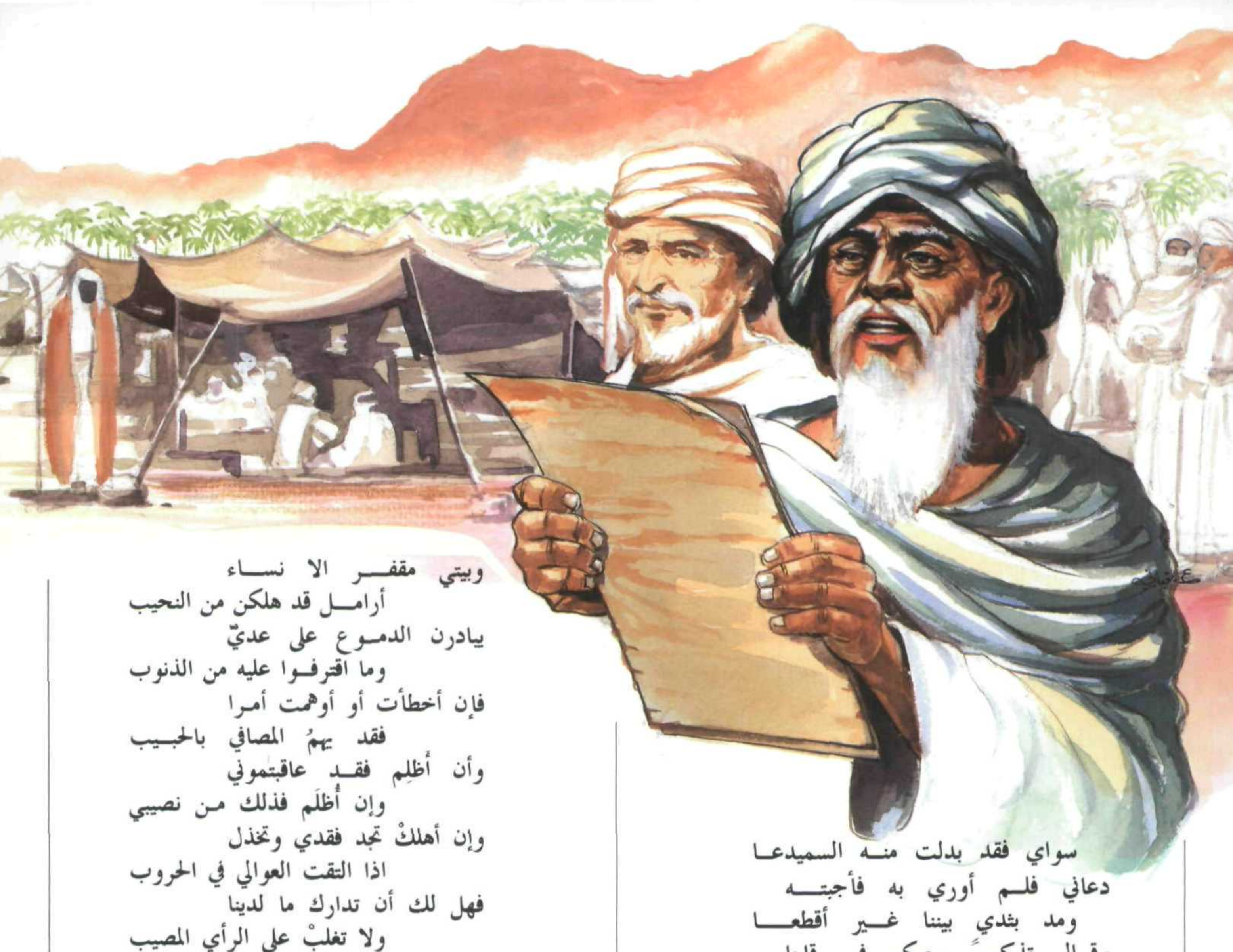
استعمل شعراء الجاهلية الرسالة الشعرية، المكتوبة والشفهية، في شتى اغراضهم الوجدانية، من عتاب وهجاء، وشكوى واعتذار، وشوق وود، وشكر ونصح، وتحذير وتوديع.

ففي العتاب بعث الربيع بن زياد العبسي برسالة الى حمل ابن بدر وأخيه حذيفة بن بدر وقومهما، يعاتبهم فيها على إجارتهم لابن عمه وخصمه قيس بن زهير العبسي، وفي هذه الرسالة ذكرهم الربيع بالصلات المتينة التي تربطه بهم والتي كان يرعاها لهم بوقوفه في خط الدفاع عنهم وتصديه لاعدائهم، فوارس أهل نجران وحجر، كما ذكّرهم بأن علاقته بهم ذات جذور عميقة تمتد الى الآباء. فقد كان أبوه زياد صديقا لأبيهم، زيد بن عمرو، فكان حقيقا بهم رعاية هذه الصداقة برفض إيواء عدوه قيس. وفي نهاية الرسالة حذرهم من الاستمرار في موقفهم السلبي منه. يقول:

ألا أبلـغ حمل بن بـدر رسولا
على مـا كان مـن شن ووتر
بأني لـم أزل لكُمُ صديقـا
أدافع عن فزارة كـل أمـر
أسالـم سلمكـم وأرد عنكم
فوارس أهل نجـران وحجـر
وكان أبي ابن عمكـم زيـاد
صفي أبيكـم بدر بن عمـرو
فألجأتـم أخـا الغدرات قيسا
فقد أفعمتم إيغـار صدري
فحسبِيَ مـن حذيفة ضم قيس
وكان البدء من حمل بن بدر
فأما ترجعـوا ارجع اليكـم
وإن تأبوا فقد أوسعت عذري

ويبعث البراء بن قيس الى أخويه، عمرو وأسود، برسالة يعاتبهما فيها على لومهما له لافتدائه جاره بفرسه (غراف) فحين دعاه جاره: يا براء أنشدك الجوار، لم يستطع صم أذنيه عن هذا النداء الذي يذكره بأقوى رباط، فأجابه وصانه عن ذل الرق والبيع في سوق لعلع، يقول:

ألا أبلغا عمرو بن قيس رسالة
وأسود أن لوما على الغيب او دعا
وشر عوان المستعين على النـدى
ملامة من يرجى اذا العبّ أضلعا
فإن يـك غـراف تبدل فـارسـا



سواي فقد بدلت منه السميدعا
دعاني فلم أوري به فأجبته
ومد بثدي بيننا غير أقطعا
وقال تذكرً سعيكم في رقابنا
ولا تتركنّي العام أحضر لعلعا

ويتساءل عديّ بن زيد عن رسول يبلغ النعمان بن المنذر هذه الرسالة التي يشكو فيها من طول الحبس وقسوته وجزع نسائه عليه وحزنهن على ما يعانيه من ظلم وقهر، ويلجأ الى المنطق والاحتجاج في عتابه باستخدام أسلوب الشرط الذي يحرك الخيال لغاية ويساعد على اغلاق الدائرة المتمثلة في الجواب، ويعرض على النعمان تدارك الأمر بالعفو عنه، ثم يكلُ أمره الى الله، يقول:

ألا من مبلغ النعمان عني
وقد تُهدى النصيحة بالمغيب
أحظي كان سلسلة وغلا
وقيدا والبيان لدى الطبيب
أتاك بأنني قد طال حبسي
فلم تسأم لمحزون حريب
وبيتي مقفر الا نساء
أرامل قد هلكن من النحيب
يبادرن الدموع على عديّ
وما اقترفوا عليه من الذنوب
فإن أخطأت أو أوهمت أمرا
فقد يهمُ المصافي بالحبيب
وأن أظلِم فقد عاقبتموني
وإن أُظلَم فذلك من نصيبي
وإن أهلكْ تجد فقدي وتخذل
اذا التقت العوالي في الحروب
فهل لك أن تدارك ما لدينا
ولا تغلبْ على الرأي المصيب
فإني قد وكلت اليوم أمري
الى ربٍّ قريبٍ مستجيب

ويتحول العتاب عند طرفة بن العبد الى هجاء في رسالة بعث بها الى ابن عمه (عمرو بن مرثد) حيث نعى فيها على ابن عمه ضلاله عن القصد بافشاء الأسرار وبث الاشاعات وإفراد الأقارب بالأذى والأباعد بالعطاء، وما في ذلك من هوان له، ثم يشير الى سبب تناكرهما؛ وهو تعابثه به مازحا، وما نتج عن ذلك من ابلاغ ابن عمه لعمرو بن هند بهجاء قاله فيه كان طرفة قد اسره اليه. يقول:

ألا أبلغا عبد الضلال رسالة
وقد يبلغ الأنباء منك رسول
دبيت بسري بعد ما قد علمته
وأنت بأسرار الكرام نسول
وكيف تضل القصد والحق واضح
وللحق بين الصالحين سبيل

وفرّقَ عن بيتيك سعد بن مالك
وعوفا وعمرا ما تشي وتقول
فأنت على الأدنى شمال عرية
شآمية تزري الوجوه بليل
وأنت على الأقصى صبا غير قرة
تذاءب منها مرزع ومسيل
وأعلم علما ليس بالظن أنه
اذا ذل مولى المرء فهو ذليل
وان لسان المرء ما لم تكن له
حصاة على عوراته لدليل
وان امرءا لم يعف يوما فكاهة
لمن لم يرد سوءا بها لجهول
تعارف ارواح الرجال اذا التقوا
فمنهم عدو يتقى وخليل

وفي الشكوى بعث امرؤ القيس رسالة الى قومه يصفهم فيها بالحدة والغضب ويخبرهم بأنه موشك على الهلاك في أرض بعيدة جدا عن ديارهم، ويشكو من الموت في الغربة وأن هلاكه لو حدث بين أهله وعشيرته لصار الموت سهلا عليه، فهو يتطلع لمساعدة قيصر له في استرداد ملكه كل يوم، وأحرى بالمنية ان تذهب الى ما انتهى اليه الآباء والأجداد، انه مريض بأرض الشام، حيث لا قريب يعوده ويعينه ولا طبيب يعالجه ويشفيه من مرضه. يقول:

ألا أبلغ بني حجر بن عمرو
وأبلغ ذلك الحي الحديدا
بأني قد هلكت بأرض قوم
سحيقا من دياركم بعيدا
ولو أني هلكت بأرض قومي
لقلت الموت حق لا خلودا
أعالج ملك قيصر كل يوم
وأجدر بالمنية أن تقودا
بأرض الشام لا نسب قريب
ولا شاف فيسند أو يعودا

وفي الاعتذار يرسل طرفة الخريمي الى ابن عمه رساله يخبرهم فيها بأنه ما فارقهم وفي قلبه عداوة لهم أو اعراض عنهم، ولا سمحت نفسه بالفراق عنهم أبد الدهر وأنه لم يرحل عنهم الا مضطرا، حين بغت قبيلته عليه وظلمته. يقول:

أيا راكبا إما عرضت فبلغن
بني فقعس قول امرىء ناحل الصدر
فوالله ما فارقتكم عن كشاحة
ولا طيب نفس عنكم آخر الدهر
ولكنني كنت امرءا من قبيلة
بغت وأتتني بالمظالم والفخر

وفي الشوق يطلب سامه بن لؤي من صاحبيه أن يبلغا أخويه رسالة يتحسر فيها على فراقه لهما وفراره منهما خوفا من الموت الذي كان ينتظره في عمان حيث مات بسبب أفعى نهشته وقتلت ناقته القوية. يقول:

أبلغا عامرا وكعبا رسولا
ان نفسي اليهما مشتاقه
ان تكن في عمان داري فاني
غالبي خرجت من غير فاقه
رمتَ حتف المنون يا ابن لؤي
ما لمن رام ذاك بالحتف طاقه
وخروس السرى تركت رديا
بعد جد وجدة ورشاقه

وفي التودد يبعث حاتم الطائيُ الى (وهم بن عمرو) رسالة يشير فيها الى مكانة صاحبه من نفسه واعزازه له ومدى تعلقه به. يقول:

ألا أبلغا وهم بن عمرو رسالة
فانك انت المرء بالخير أجدر
رأيتك أدنى من أناس قرابة
وغيرك منهم كنت أحبو وأنصر
اذا ما أتى يوم يفرق بيننا
بموت فكن أنت الذي يتأخر

وفي الشكر يهدي طرفة بن العبد رسالة حمد الى «قتادة بن سلم الحنفي» حين فتح بابه لقومه وأفاض عليهم من بره وفضله وأهان تلاد ماله لهم في وقت كانوا فيه بأمس الحاجة الى المواساة والمساعدة. يقول:

أبلغ قتادة غير سائله
منه الثواب وعاجل الشكم

اني حمدتك للعشيرة اذ
جاءت اليك مرقَّة العظم

ألقوا اليك بكل أرملة
شعثاء تحمل منقع البرم

ففتحت بابك للمكـارم حيـ
ـن تواصت الأبـواب بالازم
وأهنت اذ قدمـوا التلاد لهم
وكذاك يفعل مبتنى النعـم
فسقى بلادك غـير مفسدهـا
صوب الربيع وديمـة تهمي

وفي النصح يبعث أوس بن حجر الى أحد أبناء عشيرته رسالة شعرية، ينصحه فيها بأن يحسن علاقته بقومه، فلا يجهل عليهم، ولا يغتابهم، ولا يسيء الى أحد منهم لأنه بمنزلة الجناح من الطائر والساق من القدم، بل هم حصنه وملاذه وظفره ونابه. يقول:

أيا راكبا إمـا عرضت فبلغـن
يزيد بن عبدالله ما أنا قائل
بآية أني لـم أخنك وأنـه
سوى الحق مهما ينطق الناس باطل
فقومك لا تجهل عليهمولا تكن
لهم هرشا تغتابهـم وتقاتـل
وما ينهض البازي بغير جناحه
ولا يحمل الماشين الا الحوامل
ولا سابق الا بساق سليمـة
ولا باطن ما لم تعنه الأنامل

وفي التحذير يكتب لقيط بن معمر الايادي ــ عندما كان بالحيرة ــ الى قومه بالجزيرة، حين وجه اليهم كسرى جيشا كثير العدد، ينبههم الى خطورة الموقف والتأهب له. يقول:

سلام في الصحيفـة من لقيط
الى مـن بالجزيرة مـن إياد
بأن الليث كسرى قد أتاكم ــ
فلا يشغلكم سوق النقـاد
أتاكـم منهم ستون ألفـا ــ
يزجـون الكتـائب كالجـراد
على حنق أتيناكـم فهـذا
أوان هلاككم كهـلاك عـاد

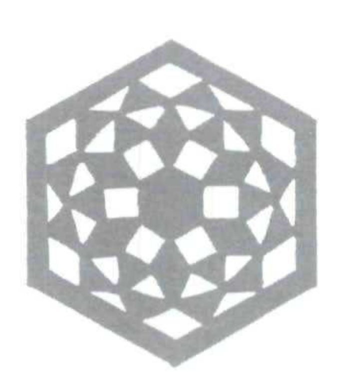
ويكتب عدي بن زيد الى أخيه (أُبيّ) وهو في سجن النعمان رسالة يشكو فيها حاله ويحذره من القدوم عليه كيلا يصيبه ما أصابه، ويقول له: لا يدفعنك حبك الأخوي لي الى ان تدفع بنفسك الى المهالك كالأم التي تدفع نفسها وراء ولدها يقول:

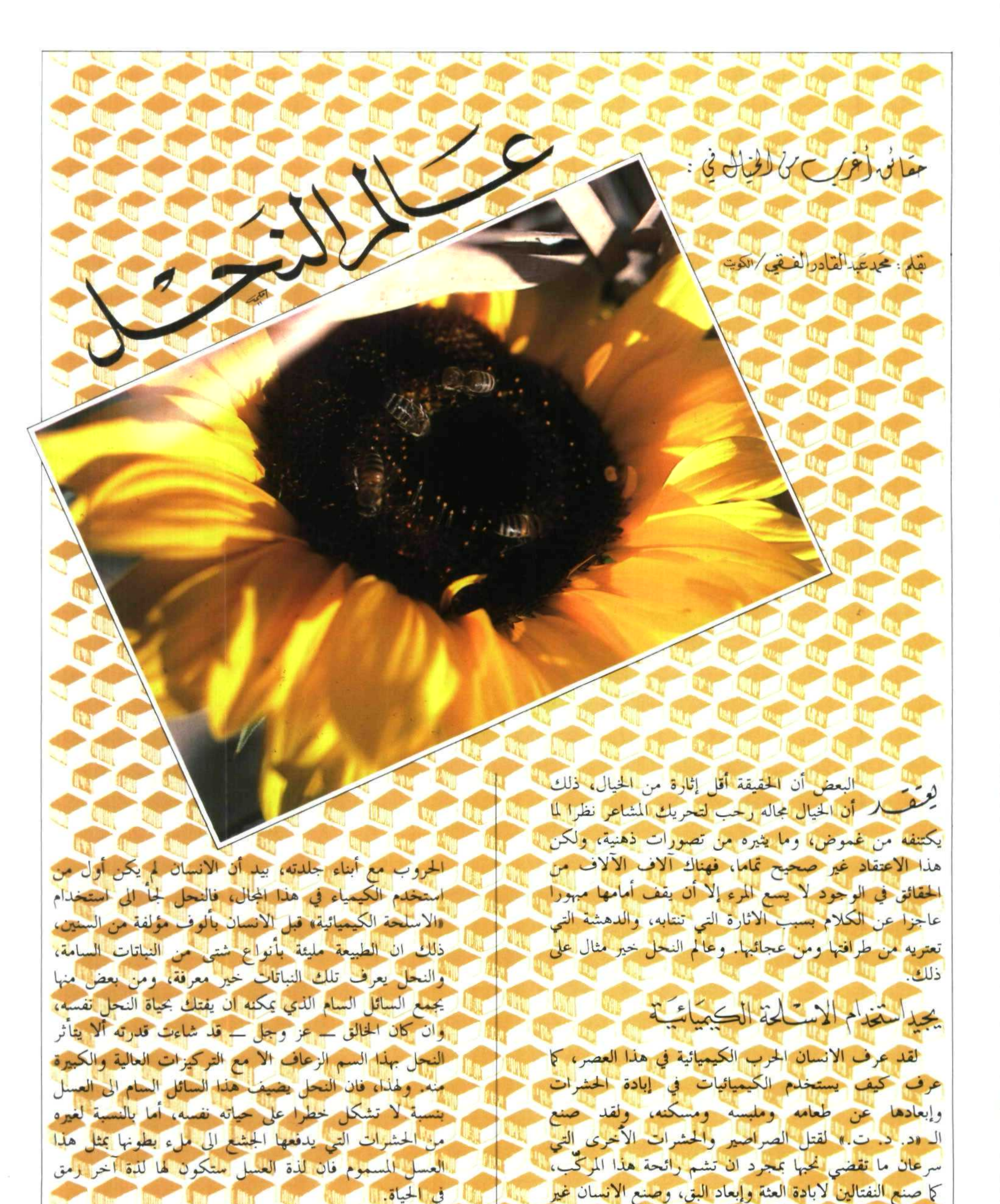
أبلـغ أبيـا على نأيـه
وقد ينفع المرء ما قد علم
بأن أخـاك شقيق الفـؤا
د كنت به واثقا مـا سلـم
لدى ملك موثق فـي الحديـ
ـدامـا بحق وامـا ظلـم
فلا اعرفنك كذات الغـلا
م مـا لم تجد عارمـا تعترم
فأرضـك أرضـك ان تأتنـا
تنم نومـة ليس فيها حلـم

ويبعث طرفة بن العبد الى أخويه (خالد ومعبد) رسالة يهدي فيها السلام اليهما ويودعهما الوداع الأخير الذي لا لقاء بعده، حيث كان حينذاك في الطريق الى ساحة الاعدام بأمر ملك الحيرة عمرو بن هند. يقول:

ألا أيها الغادي تحمَّل رسالة ــ
الى خالد مني وإن كان نائيا
وصية من يهدي السلام تحية ــ
ويخبر أهل الود ألا تلاقيـا
خرجنا وحادي الموت فينا يقودنا
وكان لنا النعمان بالسيف حاديـا

وهكذا نرى الشاعر الجاهلي يتناول في رسالته الشعرية مختلف الأغراض والموضوعات الوجدانية، بطريق المشافهة في أكثر الأحيان، وبطريق الكتابة في أحيان أخر. وبذلك يسجل الشعر الجاهلي اقدمية الرسالة الشعرية في الأدب العربي □





حقائق أغرب من الخيال في:

عالم النحل

بقلم: محمد عبد القادر الفقي / الكويت

يعتقد البعض أن الحقيقة أقل إثارة من الخيال، ذلك أن الخيال مجاله رحب لتحريك المشاعر نظرا لما يكتنفه من غموض، وما يثيره من تصورات ذهنية، ولكن هذا الاعتقاد غير صحيح تماما، فهناك آلاف الآلاف من الحقائق في الوجود لا يسع المرء إلا أن يقف أمامها مبهورا عاجزا عن الكلام بسبب الاثارة التي تنتابه، والدهشة التي تعتريه من طرافتها ومن عجائبها. وعالم النحل خير مثال على ذلك.

يجيد استخدام الاسلحة الكيميائية

لقد عرف الانسان الحرب الكيميائية في هذا العصر، كما عرف كيف يستخدم الكيميائيات في إبادة الحشرات وإبعادها عن طعامه وملبسه ومسكنه، ولقد صنع الـ «د. د. ت.» لقتل الصراصير والحشرات الأخرى التي سرعان ما تقضي نحبها بمجرد ان تشم رائحة هذا المركّب، كما صنع النفتالين لابادة العثة وإبعاد البق، وصنع الانسان غير ذلك مئات المبيدات والاسلحة الكيميائية التي استخدمت في الحروب مع أبناء جلدته، بيد أن الانسان لم يكن أول من استخدم الكيمياء في هذا المجال، فالنحل لجأ الى استخدام «الاسلحة الكيميائية» قبل الانسان بألوف مؤلفة من السنين، ذلك ان الطبيعة مليئة بأنواع شتى من النباتات السامة، والنحل يعرف تلك النباتات خير معرفة، ومن بعض منها يجمع السائل السام الذي يمكنه ان يفتك بحياة النحل نفسه، وان كان الخالق ــ عز وجل ــ قد شاءت قدرته ألا يتأثر النحل بهذا السم الزعاف الا مع التركيزات العالية والكبيرة منه. ولهذا، فان النحل يضيف هذا السائل السام الى العسل بنسبة لا تشكل خطرا على حياته نفسه، أما بالنسبة لغيره من الحشرات التي يدفعها الجشع الى ملء بطونها بمثل هذا العسل المسموم فان لذة العسل ستكون لها لذة آخر رمق في الحياة.

وهكذا، فان ابادة الحشرات في الوقت المناسب بهذا

العسل الممزوج بالسم تحفظ لأسرة النحل قوتها، وتحافظ لها على غذائها من كل طماع يدفع به سوء حظه الى خلية النحل.

ويعرف كيف «يطبخ» العسل

ولا تقف مهارة النحل عند حد معين، فهو عبقري في بناء الخلايا، وفي الدفاع عنها، وفي صنع الغذاء، وفي تربية الأجيال الجديدة! وفي توفير احتياطي استراتيجي من «المواد التموينية» يكفي لأيام البرد القارس، ولما يخبئه القدر للنحل!! وعادة، يبدأ النحل في جمع احتياطي الغذاء منذ أوائل فصل الربيع، فبمجرد أن تبدأ الشمس بتدفئة التربة وتظهر أولى الزهور، تنطلق أسراب النحل جماعات لجمع الرحيق من الزهور والرياحين والورود، وما أن تعود أدراجها الى خلاياها حتى تبدأ «بطبخ» عسلها، وعملية الطبخ هذه ليست بالأمر اليسير أبدا، إذ أنها تتطلب وجود مواد أولية كثيرة وطباخين يتمتعون بخبرة ومهارة عاليتين، وإلا فإن طبخ العسل سوف يصبح محالا!

والرحيق الذي تجمعه النحلة من الزهرة يحتوي على نسبة من الماء تتراوح بين ٤٠٪ و٦٠٪، والمطلوب من النحل هو طبخ هذه المادة بحيث يتبخر الماء منها، وألا تكون نسبة وجوده في العسل اكثر من ٢٠٪، ولا يملك النحل قدرا ونارا لعملية الطهو، كما لا تتوافر لديه أجهزة قياس كمية لضبط نسبة الماء كما هي الحال في معامل البشر الكيميائية، لكن النحل قد ألهمه الله كيف يقوم بتبخير المياه من العسل، كما ألهمه أيضا كيف يتعرف إلى تركيز الماء في العسل بالتذوق، ويستفيد النحل من حرارة الجو في تبخير الماء، كما يستفيد من حرارة جسمه في تحقيق الغرض ذاته، ولكي تتصور ضخامة هذا العمل وعظمته يكفي أن تعلم أنه خلال موسم واحد يكون بوسع أسرة النحل السليمة والقوية جمع ما يتراوح بين ١٥٠ و ٢٥٠ كيلوجراما من العسل، وهذا يعني أنه ينبغي تبخير ١٨٠ الى ٣٥٠ لترا من الماء، وهذا أمر ليس بهين، لكن النحل لا يعرف الكلل، ولا يتطرق اليه الملل!، واذا كان الجو دافئا، فان الحال ستكون أفضل، وعملية «طبخ» العسل ستكون أسهل، أما في حالة هبوط درجة حرارة الجو فان النحل لا يعدم الحيلة ولا الوسيلة، إذ سرعان ما يتجمع داخل خلاياه بأعداد غفيرة، ليحتضن الخلايا بأجسامه الصغيرة، لكي يحميها من تأثير البرد، ويزودها بالحرارة التي تكفي لمواصلة عملية تبخر المياه بنفس المعدل الذي تتبخر به في الجو الحار!

ويعرف أصول التبريد والتكييف

وكما يجيد النحل عملية «طبخ» العسل، فانه يجيد أيضا تبريد وتكييف جو الخلايا التي يعيش فيها.

وهو يتبع في ذلك الأسلوب الذي يتبعه الانسان في



أجهزة التكييف والتبريد الحالية.

تقوم بعض النحلات برش بعض المياه داخل الخلايا، وتقوم طائفة اخرى من النحل بتحريك اجنحتها معا، لتدفع الهواء الى داخل الخلايا في شكل تيار، وبذلك تسهم هذه العملية في تبخر المياه، ولما كان التبخر يصحبه برودة، فان جو الخلية سرعان ما يصبح لطيفا ومكيفا!

علم أوحاه الله الى النحل ليتعلم منه الانسان!، وما أكثر ما يتعلمه ابن آدم من النحل ومن الحشرات والحيوان!

ذكاء يفوق الوصف

النحل أذكى من الانسان.. مقولة قالها احد علماء الحشرات المعاصرين، ويدعى «جيمس جولد — James Gold» من جامعة «برانكتون».

وما قال «جولد» كلمته هذه عن فراغ، أو عن إعجاب بالنحل، ولكن قالها بعد طول دراسة ومشاهدة وتجارب أجراها!

وعلى أية حال فذكاء الحشرات غير غريب، فقديما — كما ذكر القرآن الكريم — قالت نملة: **«يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده»**!، ولكن عندما يفوق ذكاء الحشرة تصور الانسان، فان ذلك لا يستحق

الاشادة فحسب، بل يحتاج الى وقفة متأنية للتأمل والدراسة!
والحقيقة التي توصل اليها «جولد» — والتي استغرق التوصل اليها دراسة لمجتمع النحل دامت عدة سنوات — هي أن النحلة قد تمتلك دماغا أعقد بكثير مما يعتقده كثير من الناس!
ولنضرب على ذلك مثالا مما فعله «جولد».
في احدى التجارب، قام ذلك العلامة بنقل مصدر الغذاء خمسين مترا بعيدا عن خلايا النحل، وأخذ يراقب عن كثب ما اذا كان النحل سينجح في العثور على مصدر الغذاء أم لا!
و لم تمض غير دقيقة واحدة، كان النحل بعدها قد اهتدى الى تعيين المكان الذي وضع العالم الغذاء فيه.
وعاد «جولد» ليكرر العملية مرة ثانية وثالثة، وفي كل مرة يدفع مصدر الغذاء بعيدا خمسين مترا أخرى، ولا ينفك النحل في كل مرة يجد طريقه في أقل من دقيقة واحدة!
والى هنا قد يكون الأمر مقبولا ومعقولا!
ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان!
قبل أن يجد ذلك العالم الفرصة لكي يقوم باداء النقلة الرابعة لمصدر الغذاء خمسين مترا جديدة كانت أسراب النحل تحلق فوق رأسه في لمحة بصر، متجهة الى المنطقة التي يريدها «جولد» المحطة القادمة!
أي ذكاء هذا؟ أليس الذكاء هو الاستفادة من الخبرات السابقة في مواجهة مشاكل جديدة؟
من الواضح ان النحل أدرك أن هناك نقلة جديدة فسلك سلوكه الذكي هذا، وهو الأمر الذي لم يتوقعه «جولد» ولا يتوقعه قارىء هذا المقال!

تعدد المهام مع اختلاف مراحل العمر

من المعروف عن مجتمع النحل انه مجتمع يحب التخصص، فهناك طائفة خاصة تتولى الحراسة وطائفة ثانية تتولى جمع الغذاء، وأخرى تتولى تنظيف الخلايا.. الخ.



لكن الحقائق التي توصل اليها دارسو النحل تقلب هذه المقولة رأسا على عقب! وكان أول من انتبه الى ذلك العالم الالماني «ج.أ. روش» الذي كان لديه حدس قوي بأن لعمر النحلة علاقة مباشرة بالعمل الذي تؤديه، وللتأكد من صحة هذا الحدس فقد قام في عام ١٩٢٥م باجراء تجربة طريفة، حيث وضع بعض العلامات الخاصة على مجموعة من النحل لا تزال صغيرة اذ كانت في بداية عمرها بعد خروجها من أقراص الحضانة، وراح «روش» يراقب هذه النحلات الصغيرة بصورة مستمرة.
لم تكد أجنحة هذه النحلات تصبح قوية حتى بدأت بتنظيف الخلية، ثم اتجهت بعد ذلك الى أكبر اليرقات عمرا وبدأت باطعامها «غذاء النحل».
وقد قام «روش» بعد ذلك بفحص النحلات ذات العلامات ليرى ما اذا كان لنموها الجسماني علاقة بعملها، وقد تحقق هذا العالم بين هذا التصور فعلا عن طريق الفحص المجهري الذي أظهر له أن غدد صنع الغذاء التي توجد في مقدمة المخ لدى هذه النحلات قد نمت وأصبحت النحلات حاضنات.

وبعد مرور أيام لاحظ هذا العالم ان النحلات قد تركت الحضانة لتمارس عملا جديدا هو استقبال الرحيق من النحلات العاملات وخزنه. وأيضا، استخدم «روش» الفحص المجهري في بحثه عن سبب هذا التغير الوظيفي فأظهر الفحص أن غدد صنع الغذاء لدى هذه النحلات قد توقفت عن العمل!

وبعد عدة أيام، رأى العالم نفسه أن هذه النحلات غيرت وظيفتها مرة أخرى الى صنع الشمع في اليوم الخامس عشر من ميلادها، وأظهر المجهر أن أجسامها قد تغيرت مرة أخرى لتناسب عملها الجديد، حيث تطورت لديها غدد صنع الشمع، وفي اليوم الثامن عشر قامت بواجب حراسة الخلايا، وبعد اليوم الحادي والعشرين من عمرها توقفت الغدد الشمعية عن العمل، لتبدأ في مهنة جديدة هي جمع الغذاء...

انه تغير وظيفي دائم..، ومجال لاكتساب خبرات متعددة على مدار حياة النحلة!

قدرة هائلة على التكيف

وحينما نشر العالم «روش» اكتشافاته عن النحل، إنضم علماء آخرون الى البحث. ففي مدينة «ميونيخ» أضاف العالم الالماني الدكتور «مارتن لنداور» بعض الملاحظات، فقد شاهد نحلات تقوم بواجب حراسة الخلايا مدة تسعة أيام متواصلة، وهذا لم يسمع به من قبل، وفي الاتحاد السوفيتي أعلنت السيدة «ل. بيربلوفا» بأن لديها بضع نحلات مبكرة النضوج، احداها بعمر يومين كانت تصنع الشمع، وهذا عمل تقوم به نحلة عمرها خمسة عشر يوما!



ويتضح من ذلك ان النحل لديه قدرة كبيرة على التكيف، والنحلة الصغيرة يمكن أن تقوم بما يقوم به الكبار اذا تطلبت مصلحة الخلية ذلك، وليس هناك مجال للتنصل من أداء أي مهمة مهما كان السبب!

لغة خاصة للنحل

للحشرات، كما للانسان لغاتها الخاصة التي تتفاهم بها وتتواصل.

ويعتبر العالم النمساوي «كارل فون فريسك — C. V. Frisch» أول من فتح المجال لدراسة لغة النحل وكشف الكثير من الحقائق التي توضح كيفية تفاهم النحل، وكيف تستخدم النحلات العاملات لغة خاصة هي لغة الرقص لتخبر بواسطتها بعضها البعض عن أماكن وجود الغذاء، سواء أكان حبوب لقاح أو رحيقا، فاذا حدث ان اكتشفت نحلة مكانا لبعض الزهور فانها تسارع بالعودة الى الخلية لتؤدي رقصة معينة تخبرهم بها عن مكان تلك الزهور.

فرقصة سريعة على شكل رقم 8 تعني أن الزهور قريبة.

ورقصة بطيئة على شكل هز الذنب تعني ان الزهور بعيدة، وقد لاحظ «فريسك» ان عدد دورات الرقص التي تقوم بها العاملة يدل على بعد مصدر الغذاء بكل دقة عن الخلية.

أيضا لاحظ «فريسك» ان اتجاه جسم النحلة الراقصة يحدد اتجاه موقع الغذاء، فاذا كانت النحلة ترقص وجسمها الى أعلى فان الزهور تقع في اتجاه الشمس، والعكس بالعكس.

والنحلة التي ترقص مائلة بزاوية ٦٠ درجة من الخط العمودي فإنما تخبر زميلاتها بأن يغادروا الخلية بزاوية ميل ٦٠ درجة عن الشمس.

وقد اهتم العديد من الباحثين أمثال «بوش — Boch» و «بارك — Park» و «ريباندز — Ribbands» وغيرهم بالدراسات المتعلقة بلغة النحل، وأمكن الوصول الى كثير من المعلومات والحقائق في هذا الميدان، وأمكن التعرف إلى أنواع أخرى من الرقصات. ولا تزال هناك حقائق أخرى لم يكشف النقاب عنها بعد في عالم النحل.. وعندما تكتشف، فربما تكون أيضا أكثر اثارة من الخيال □

المراجع:

١ — خضر مناور الراوي — «العالم الخفي لخلية النحل» — مجلة علوم — بغداد — العدد ١٢ — تشرين الأول ١٩٨٥م.

٢ — ب. سرغييف — «الممتع والطريف في علم وظائف الأعضاء» — ترجمة حسام شاه — دار مير — موسكو — ١٩٨٢م.

٣ — واصف عبدالحليم عبدالله — «تربية النحل ولغته» — مجلة الوعي الاسلامي — صفر/ ١٤٠٦هـ.

٤ — اعداد مختلفة من مجلتي: Scientific American & Science.

الرؤيـة الحضاريّـة والبَحث اللسـاني

بقلم: د. منذر عياشي / جامعة حلب

أودُّ أولا، أن أتقدم بالشكر لمجلة القافلة التي فتحت للباحث العربي الباب واسعا لمعالجة واحدة من أهم القضايا في تاريخ تطور امتنا العلمي الحديث، أقصد البحث العلمي اللساني انطلاقا من «رؤية حضارية».

وأتقدم، ثانيا، بشكري العميق وامتناني الصادق للدكتور أحمد الشويخات الذي تفضل عليَّ فقرأ ما كتبت[١]، بوعي وحكمة، ودراية، ثم قدم لي بعض الملاحظات القيمة[٢]، والتي أحسب أني سأجعلها موضع اهتمامي في مقبل ما سأكتبه من دراسات باذن الله. ولعل ما سأقوله الآن، ايضا، يكون حافزا، ودعوة جديدة لمشاركة باحثين آخرين في مناقشة هذه القضايا الهامة. ذلك أن العمل العلمي لا يقوم على جهود فرد، انه كما أعتقد، يحتاج الى جهود فريق عمل كامل.

مشروع حضاري

هل يمكن للرؤية الحضارية ان تتداخل مع الواقع، أم أنها، لكونها رؤية، تبتعد عنه وتعلو عليه؟. وهل الرؤية في المنظور الاسلامي، كما يقول الدكتور احمد الشويخات «افراز للواقع الحضاري المتغير، ولذلك فهي متغيرة»، أم الرؤية تأسيس رباني لواقع جديد وفق معايير ربانية جعلها الله تبارك وتعالى على مثال خلقه؟. ثم ما الثابت وما المتحول في الرؤية الحضارية الاسلامية؟. ومن السابق في الوجود. هل الواقع — كما يقول الدكتور — «الحضاري بجوانبه المادية والمعنوية المتغيرة والمتنامية هو المؤثر السابق في الوجود»، أم الرؤية هي السابقة في الوجود؟

تذهب الفلسفة الماركسية والمادية الى تأكيد ما قرره الدكتور الشويخات، فتقول: «يعود الى الظواهر المادية كل ما يوجد موضوعيا»[٤]. واني اذ أبرأ بنفسي من هذا المذهب، أعيذها وابرأ بها من قول المثاليين أيضا، أولئك الذين يقولون: «ان العالم يوجده وعي الفرد»[٥]. وهل يجوز لباحث في الحضارة الاسلامية ان يطرح قضية الرؤية والواقع على غرار ما طرحه الماديون والمثاليون؟!.

(١) القافلة/ صفر ١٤٠٧هـ/ اكتوبر — نوفمبر ١٩٨٦م.
(٢) القافلة/ شوال ١٤٠٧هـ/ مايو — يونيو ١٩٨٧م.
(٣) المرجع السابق.
(٤) افاناسييف: «أسس المعارف الفلسفية». ص/٩. دار التقدم — موسكو.
(٥) المرجع السابق.

أسئلة كثيرة تثيرها مقالة الدكتور الشويخات، لا يتسع المجال الآن للاجابة عنها جميعا، ولكني سأجيب على جزء منها هنا. وأما ما تبقى فأتركه لبحث لاحق عن «الثابت والمتحول في الاسلام» باذن الله.

أريد في هذه الزاوية ان أتكلم عن نقطتين:

١ — ان البحث اللساني مشروع حضاري. ولا يمكن لهذا المشروع ان يتم اذا لم تكن المكوِّنات الحضارية هي صانعة المكوِّنات العقلية المستخدمة فيه. وما نقصده بالمكوِّنات الحضارية هو:

أ — تلك العلاقة التي تربط بين المجتمع من جهة، ومجموع الأفكار والمعتقدات والتصورات من جهة أخرى. بحيث اذا نظرنا الى المجتمع ادركنا هُوية القيم التي ينتمي اليها، واذا نظرنا الى القيم ادركنا هُوية المجتمع الذي يتمثلها. ولقد رصد "الشهرستاني" هذه العلاقة في المجتمع الاسلامي قديما، فعبر عنها قائلا: «الله عز وجل أسس دينه على مثال خلقه ليستدل بخلقه على دينه، وبدينه على خلقه»[٦].

ومثل هذه العلاقة «المتجاذبة» التي تحيل كل واحد من الطرفين الى دال ومدلول على التوالي، هي التي تولد المكوَّن العقلي المستخدم في البحث العلمي واللساني، وتجعله يقف على الظواهر من خلال علاقاتها، فيصفها ويعمل على تحليلها وتفكيكها ثم إعادة بنائها، فيحصل له حينئذ اكتشاف الأنساق والنظم التي صارت بها الى وجودها.

ان مثل هذه العلاقة هي الأساس الذي تقوم عليه الرؤية. غير انها في المجتمع الاسلامي، كما نرى في قول الشهرستاني، رؤية خاصة بهذا المجتمع، وذلك لأن الله هو الذي أسس، أي ليست المادة، كما ذهب الى ذلك الماديون والماركسيون، وليس الوعي الفردي أيضا، كما ذهب الى ذلك المثاليون. ولكن هذا لا يعني أن الاسلام قد أهمل المادة والوعي. فلهذا الأمر شأن آخر ولا نريد ان نخوض فيه الآن.

ب — اللغة، اذ تنتقل الأفكار بها من مجردها الى صيغتها، والمعتقدات من غيابها الى حضورها، والتصورات من تخيلها الى تمثيلها، وذلك كما قال الغزالي: «ولا متكلم الا وهو محتاج الى نصب علامة لتعريف ما في ضميره»[٧].

واللسانيات، لأنها بحث علمي يقوم على مكوِّناتها، ولذا فهي بالمنهج، من حيث هو وليد مكوّن عقلي حضاري، تصير دارسة — méTalangage لموضوعها، وهي باللغة تصير نظاما يقف من خلفه نظام الحضارة التي ينطق باسمها ويحمل خصوصيتها.

(٦) «الملل والنحل». ج/١ ص/٣٩. دار المعرفة، بيروت.
(٧) «المستصفى من علم الاصول». جـ/١ ص/٨٦٥.

٢ ــ واذا كانت الحضارة تخلق استمرارها، فلأنها:
أ ــ تخلق قوانين تطور المجتمع وفق مكوّناتها.
ب ــ ولأنها تؤسس دوما لكل مشاريعها امكانية التحقق والانجاز عبر التطور الاجتماعي والعقلي الذي تحدثه.

ويظهر لنا من هذا أن التطور الاجتماعي لا يتم الا بفعل المكوّنات الحضارية، كما يظهر لنا ان المشاريع العلمية لا تتم، انجازا وتحققا، إلا بفعل التطور الاجتماعي، أي ثمة علاقة جدلية بين المكوّنات الحضارية والتطورات الاجتماعية ينشأ عنها البحث العلمي المتطور.

ولما كان البحث اللغوي مشروعا حضاريا كما أسلفنا، فقد ظهر هذا المشروع، ضمن البحث العلمي، مرافقا لحركة التطور الاجتماعي الاسلامي وملازما لها، يتأثر بها حينا ويؤثر فيها حينا آخر. وقد أشار الإمام السيوطي، بشيء من التفصيل، الى مثل هذا الأمر في كتابه «المزهر في علوم اللغة». ولكن ما كان ذلك ليكون لولم تكن البحوث اللغوية واللسانية من حيث هي مشروع حضاري رهن حاجتين:

ــ رهن حاجتها الى الانسان ليدل بها على الحضارة التي أفرزتها.

ــ ورهن حاجة الانسان اليها ليستدل بها في الكشف عن ذاته.

واذا كانت اللسانيات قد بلغت اليوم مرحلة من تطورها مكنتها من الاستقلال بنفسها والدخول في ميدان العلوم الدقيقة، فذلك لأن المكوّن الحضاري، الذي يقف من خلف نظام الثقافة، هو الذي أدّى، بتوسط اللغة ــ مادة البحث اللساني واداة البحث العلمي ــ الى تطور عام في شتى ميادين العلم، فنالت اللسانيات منه ما ناله غيرها.

تعدد الرؤية وإرث العلوم

أريد أن أقف على ثلاث نقاط:

النقطة الأولى:

لقد ذهب الدكتور الشويخات الى تأسيس قاعدة بنى عليها كل مفهومه. انه يقول: «لكل عصر رؤيته الحضارية وبالتالي ممارسته للعلم.»

إن المآخذ المتصلة بهذه القاعدة عديدة، نذكر منها ما يلي:

أولا: تنطوي هذه القاعدة على مفهوم آحادي. ونقصد بالمفهوم الآحادي ذلك المعنى المادي الذي يقوم على فرض رؤية واحدة لعصر واحد. واذا كان هذا الأمر مرفوضا، علميا وموضوعيا، فذلك لأنه يتضمن معنى الالغاء. وان كل الغاء إنما يقوم على قاعدة ايديولوجية آحادية (كالماركسية مثلا)، وليس على قاعدة علمية تعددية، أي تقبل التعدد وتنفتح عليه.

اننا نعتقد أن لكل عصر رؤاه (بالجمع) الحضارية، كما نعتقد ان لكل عصر ممارساته (بالجمع ايضا) العلمية. ونحن في عصر ــ وكذلك كان الحال قبل عصرنا ــ ما تزال تعيش فيه حضارات عديدة، كلها تتماثل في غناها، وكلها تمارس العلم بدرجات وبنسب متفاوتة، ولكنها لا تشترك، جميعها، بحضارة واحدة، وبرؤية حضارية واحدة. فالحضارة الصينية، واليابانية، والهندية، والاسلامية، والأفريقية، والغربية، كلها موجودة في عصرنا هذا، وكلها تعبر ــ كل حضارة على حدة ــ عن خصوصية الشعوب التي تتمثلها. وما نرفضه في هذه القاعدة هو هذا التعميم الذي ينتهي الى إلغاء الآخر، والى الآحادية الجبرية في الرؤية.

ثانيا: واذا كنا لا نستطيع ان نفترض رؤية واحدة تقف من خلف إبداع، وانتاج، وممارسات كل الأمم، فذلك لأن الرؤية، في الواقع، تتعدد في العصر الواحد بتعدد الأمم التي تعيش فيه، وأيضا بتعدد الحضارات التي تنتج هذه الرؤى.

ثالثا: قد تلتقي الأمم في بعض الجزئيات، كما يمكنها ان تتقاطع في بعض الأفكار العامة، ولكن يستحيل ان تتطابق رؤيتها فتكون هي عند الجميع. والسبب هو أنه لا يمكن للحضارة التي كونتها ان تلد أكثر من مرة.. في عصر واحد وعند أمم مختلفة.

رابعا: ليس هناك ما يمنع أمة من الأمم ان تعيش عصرا من العصور برؤية حضارية كان أصل منشئها عصر سابق، وان تكون في ممارستها العلمية غاية في التطور. والأمم المتطورة اليوم لا تعيش قطيعة «ابيستمولوجية» مع ماضيها. انها على العكس من ذلك استمرار له، بدليل تطورها الهائل. وهذا يعني انه لولا هذه الرؤية الحضارية السابقة والمؤسسة للبحث لما تم هذا الانجاز العلمي الهائل. وهذا يعني ايضا ان الرؤية جوهر ثابت، وان الممارسات العلمية التي تؤدي الى تحولات اجتماعية إنما هي نتيجة من النتائج التي يحدثها هذا الجوهر الثابت، أو هي من المتغيرات التي يولدها.

خامسا: ان الرؤية لا تعني «المعاصرة» بأي شكل من الأشكال. ذلك لأن الرؤية الحضارية صيغة لفكر يتجاوز نفسه باستمرار، زمانا ومكانا، ولذا كان الاسلام صالحا لكل زمان ومكان، أما «المعاصرة» فحدث زمني لا يتجاوز نفسه، أي الزمن الذي هو فيه، وينتهي بميلاد حدث زمني جديد. واذا كان لا يجوز لنا ان نخلط بين المفهومين فلأن الرؤية حداثة دائما، يشهد على حضورها لغة ممتدة، وإنسان ينهل منها ما يعينه على بناء حاضره وتحديد مستقبله، ومجتمع يتميز بها في عصر من العصور او في عصور متعددة.

سادسا: ان شكل الممارسة العلمية ليس معيارا للحضارة، لأنه قد يكون إرث مجموعة من الحضارات، استطاعت أمة ما أن تمارسه وتطوره، وحيل ذلك دون أمه أخرى لأسباب

سياسية واقتصادية، وأيضا جغرافية قد تكون خارجة عن ارادتها. ولذا فاننا لا نستطيع ان ننفي صفة الحضارة عن أية أمة من الأمم مهما كانت درجة بدائيتها طالما أن هذه الأمة تعيش راهنها بموجب رؤية مستمدة من حضارتها، وطالما أنها بموجب هذه الرؤية تتصل بماضيها وتحدد مستقبلها.

سابعا: وعلى العكس من ذلك، نستطيع ان نسمي حضارة من الحضارات «بحضارة شاذة» اذا جعلت ممارستها العلمية تتطور في اتجاه واحد. يقول رونيه جينو: «تبدو الحضارة الغربية المعاصرة، في التاريخ، شذوذا حقيقيا: ان هذه الحضارة، من بين كل الحضارات التي نعرفها كلية على وجه التقريب، قد تطورت في اتجاه مادي محض. واذا كانت بداية هذا التطور «المسخ» تتلاقى مع ما اصطلحنا على تسميته بعصر النهضة، فانه ظل مصحوبا بتراجع عقلاني يتناسب مع تقدمه»(٨).

واذا كان ذلك كذلك، فان النتيجة التي نصل اليها أخيرا، هي أن القول بوحدة الرؤية الانسانية تحت شعار «وحدة العصر زمنيا»، غير مقبول علميا، وغير صحيح واقعيا، وان كان يعز على بعض النظريات القمعية «الكليانية — Totalitaire» كالماركسية مثلا، أن تراه كذلك، أي أن ترى هذا الشعار غير متحقق بما يخدم أهدافها. وان مناقشتنا للدكتور احمد الشويخات في هذه النقطة، ستقودنا الى مناقشة في نقطة ثانية أجل وأعظم.

النقطة الثانية:

ان الخلاصة «الخطيرة» التي خرج بها الدكتور الشويخات في نهاية بحثه بناء على هذه القاعدة، أي قاعدة ان «لكل عصر رؤيته»، تقوم على المفاضلة والمقارنة التي أنشأها:

١ — بين البحث اللساني في الحضارة الاسلامية، مع التركيز على ابراز ضيق أفق الرؤية في هذه الحضارة بشكل إيحائي.

٢ — وبين البحث اللساني في الحضارة الغربية، مع التركيز على توسيع أفق الرؤية فيها بشكل تصريحي.

وسندل على هذين الأمرين بما جاء في مقاله الموسوم «الحضارة والبحث اللساني».

أما عن البحث اللساني في الحضارة الاسلامية، فانه يقول: «ان العلوم اللسانية في الحضارة العربية الاسلامية كانت مدفوعة وموجهة لخدمة الدين الاسلامي»، بينما هي في الحضارة الغربية: «فنتاج سلسلة طويلة من الصراعات والآراء الفكرية التي انتجتها ظروف حضارية متباينة. هذا بالاضافة الى تنوع الدراسات اللسانية اليوم في الغرب، وتوزيعها بشكل علمي متخصص، له فلسفته ومناهجه وادواته وتراثه».

وأنا أتساءل هنا عن شيئين:

(٨) René Guénon: Orient eT Occident. P. 19

١ — عن دقة هذه المقارنة وجوازها علميا.

٢ — وعن غاية هذه المقارنة ومقصودها.

وأنا اذ أضع علامات استفهام كبرى حول مقولات الدكتور الشويخات، فلأني استحضر في ذهني مقولات مماثلة لبعض المستشرقين «الذين يدسون السم في العسل». فقد ذهب الدكتور الشويخات الى القول: «بأن العلوم اللسانية.. كانت (مدفوعة) و (موجهة) لـ (خدمة الدين). وأني لأرى، على ما في ظاهر هذا القول من أمر مقبول اسلاميا، رغبة في إثبات أمور أخرى يرفضها البحث اللساني العلمي ويأباها. ولقد اعتقد بعضهم أنهم بمثل هذه الطريقة — لأن المسلم يرغب في خدمة دينه — يستطيعون ان يضعوا الدين والبحث اللساني الاسلامي في مأزق إزاء البحث العلمي المعاصر وطرقه الموضوعية. وبيان ذلك سيكون في مناقشتنا للأمور التالية:

١ — ان تصوير البحث اللساني، في الحضارة الاسلامية، بأنه كان (مدفوعا) و (موجها) لـ (خدمة الدين) يفقده، من وجهة نظر علمية معاصرة، القيمة الموضوعية التي يحتاجها البحث العلمي، لأن كل علم (منحاز)، أي (موجه)، هو علم فاقد لقيمته الموضوعية، وبالتالي هو غير جدير أن يؤخذ به.

هذه هي الفكرة الاساس التي تهدف امثال هذه المقولات الى اثباتها. فهل كان البحث اللساني، في الحضارة الاسلامية، فاقدا لقيمته الموضوعية؟ وهل قصد السلف الصالح من العلماء كسر حقيقة من الحقائق العلمية الثابتة او تغييبها لأنها لا تتفق مع (الدين) فـ (وجهوا) البحث اللساني واللغوي وجهة معينة؟ أم تراهم رأوا في الدين (نقصا) ارادوا ان يرمموه فعمدوا الى (التوجيه) كي (يزينوا) الدين بأمر يكون من غيره ناقصا؟.

ان القصد من التوجيه يتضمن هذه الأمور، وربما غيرها ايضا. ولكن ما أعيبه على هذا التصور، هو أنه عبارة عن إسقاط ايديولوجي معاصر يقوم به من له موقف خاص من الاسلام، وكل إسقاط ايديولوجي في البحث العلمي يعتبر مرفوضا لأنه والموضوعية نقيضان لا يلتقيان.

صحيح ان كلمة مثل «الموضوعية» لم تكن معروفة او موضوعة في جدول الألفاظ العلمية المستخدمة عند السلف الصالح في بحوثهم ودراساتهم كما هي معروفة عند العلماء المعاصرين، ولكننا نعلم حق العلم ان كلمة اخرى، أرقى من كلمة «الموضوعية» وأعظم شأنا، كانت تقود كل تفكيرهم العلمي، ونقصد بها كلمة «التقوى». وعلاوة على هذا، فان علماء المسلمين كان لا يخامرهم شك ولا ريب في دينهم وكماله. فالى أي شيء قصدوا حين درسوا القرآن لغويا؟ أعتقد أن في الجواب على هذا السؤال تكمن المفارقة بين قصد السلف الصالح وتوجيههم لأساليب بحثهم النابعة من رؤيتهم

الحضارية، وبين الاسقاط الايديولوجي المعاصر الذي يقوم به بعضهم تفسيرا لتاريخ البحث العلمي ومفهومه. ولبيان القصد، أحيل القارىء الى البحث الذي نشر في مجلة «القافلة» (الرؤية الحضارية والبحث اللساني) بتاريخ (صفر ١٤٠٧)، والذي كان موضع اتهام عند الدكتور احمد الشويخات.

٢ ــ لقد ناقشنا بايجاز قصة «الانحياز» و «الموضوعية». ولكن المقولات التي تفضل الدكتور الشويخات بطرحها تقودنا الى قضية ثانية، تتعلق بالمنهج المقارن.

لقد ذهب الدكتور الفاضل ــ كما بينا ــ الى عقد مقارنة بين الدراسات اللسانية في الحضارة الاسلامية، والدراسات اللسانية في الحضارة الغربية. ونحن نعلم، كما يعلم، كل باحث، أن للمنهج المقارن اصولا تتبع، تساعد الدارس على الاحاطة بموضوعه وترسم له مسار بحثه وتستقصيه، وتعينه على القبض على النتائج بدقة وموضوعية. غير ان المقارنة التي أجراها الدكتور الشويخات لا يتجاوز عدد سطورها عدد أصابع اليد الواحدة. فأي بحث دقيق هذا!!؟ ولقد قامت هذه المقارنة:

١ ــ على تصوير الدراسات اللغوية واللسانية في الحضارة الاسلامية تصويرا يجعل منها «مدفوعة»، و «موجهة» لخدمة «الدين».

٢ ــ وعلى تصوير الدراسات اللغوية واللسانية في الحضارة الغربية تصويرا يجعل منها «نتاج سلسلة طويلة من الصراعات والآراء الفكرية التي انتجتها ظروف حضارية متباينة. هذا بالاضافة الى تنوع الدراسات اللسانية اليوم في الغرب، وتوزيعها بشكل علمي متخصص، له فلسفته، ومناهجه وأدواته وتراثه».

أنا لا أريد أن أشكك في قيمة الدراسات الغربية وغناها، ولا أريد أن أقلل من أهمية ما وصلت اليه، فهذا لم يكن هدفي في بحثي السابق ولن يكون هدفي في هذا البحث ولا في غيره. ولكني اعترض في هذه المقارنة غير «الصحيحة» على شيئين:

أ ــ على الأسلوب الذي تمت به هذه المقارنة، وذلك من ناحيتين:

أولا: ان الطريقة التي استخدمها الدكتور الشويخات في تصوير الدراسات اللسانية في الحضارة الاسلامية بتركيز يدل على انها كانت «مدفوعة» و «موجهة» لخدمة الدين الاسلامي» ــ على ما في هذا الهدف من نبل بالنسبة للمسلم ــ ان هذه الطريقة توقع في ادراك الباحث المعاصر وتصوره ان هذه الدراسات ذات أفق ضيق، وذلك بالمقارنة مع الدراسات الغربية المعاصرة. ولعمري، ان هذا منطق مخالف لواقع الحال، ونظرة سريعة الى كتب التراث اللغوي العربي تفضح هذا الأمر وترده على عقبيه مذموما مدحورا.

ثانيا: يقوم أسلوب هذه المقارنة على مبدأ استخدام المغالطات لتثبيت وتكريس نتيجة سابقة على المقارنة نفسها، تصريحا وايحاء. وهذا مبدأ، بقدر ما هو معروف فانه مرفوض علميا. فالمسلم، أيا كان عمله، يخدم دينه، واتخاذ هذا الأمر حجة عليه لتبيان ان غير المسلم في البحث والدراسة انما يبني آراءه على سلسلة طويلة من الصراع الفكري، فان هذا ليس من النهج العلمي في شيء. انه فقط منطق استخدام المغالطات.

ب ــ كما اعترضت على الأسلوب، فاني أعترض على المفهوم الذي قامت عليه هذه المقارنة. وذلك لأن المقارنة يجب ان تكون بين عناصر قابلة للمقارنة. اما اذا كانت على غير هذا، فقد تصبح مفاضلة، وذلك ما ذهب اليه الدكتور الشويخات. وقد كان اجدى به ان يرتكز فعلا على المنهج العلمي المقارن فيسعى، وفقا لأسس هذا المنهج، الى تعميق البحث، وتطوير النتائج، دون التكلف باصدار احكام او الايحاء بها.

النقطة الثالثة:

لقد اعتبر الدكتور الشويخات العربية «لغة الدين والتراث». واذا كان ذلك كذلك، فما هي اللغة التي اخاطبه ويتخاطب الناس بها؟ هل هي «دين» أم «تراث»؟ واذا لم تكن كذلك فهل ما أكتبه الآن هو من العربية، أم تراه يكون لغة أخرى؟

يثير مثل هذا القول، في الواقع، تساؤلات كثيرة. فاذا كانت عربية القرآن العظيم هي لغة الدين، واذا كان الشعر الجاهلي، والاسلامي، والأموي، والعباسي هو لغة التراث، فأين هي لغة العرب اليوم؟

اعتقد أني قد اجبت عن هذه التساؤلات في بحثي المذكور آنفا. غير ان الذي لا ادريه هو ما الذي يدفع الدكتور الشويخات الى ما يثير الريبة ويخالف العلم والواقع ويجانب الحقيقة!!؟ لعل من المفيد أن نترك هذا الأمر، فقد طال الجدل فيه بين نصير للعربية الفصحى ونصير للعامية، ولا أجد في العودة اليه ما يغني حوارنا هذا، ذلك لأن الأمر بات محسوما، والقضية لم تعد موضع نقاش.

يمكننا أن نقول أخيرا، ان اللسانيات الغربية في صورتها الراهنة، إنما هي نتاج إرث انساني حضاري طويل اشتركت فيه كل الأمم. ولست مبالغا اذا قلت ان للعرب في هذا الإرث الأثر الأكبر، لأنهم الوحيدون تقريبا بين الأمم الذين نقلوا البحث اللغوي من ملاحظات حول اللغة الى منهج يفرض الفَرضيات ويبني النظريات.

ونحن اذا اردنا للبحث اللساني العربي ان يواصل مسيرة تطوره، فلا بد لنا من ارجاع هذا الإرث الى المكوِّنات الحضارية التي صنعته وانتجته، وبذلك فقط يتساوى أسلوب البحث عندنا مع أهم تطورات الدرس اللساني □



دور الحاسبات الآلية في تطوير الخدمات التعليمية

اعداد: سهيل فهد سلامه / الرياض

يسير تطور الحاسبات الآلية بشكل سريع ومطرد ، حتى أنه أصبح من الصعوبة بمكان على كافة الأفراد العاديين ملاحقة ومجاراة هذه التطورات . ويلاحظ حاليًا ادخال الحاسبات الآليّة في معظم النشاطات اليوميّة التي يمارسها الإنسان سواء كانت تعليميّة ، صحيّة ، ماليّة ، صناعيّة ، زراعيّة وغيرها . وتمثل الخدمات التعليميّة أحد هذه النشاطات الهامة في حياتنا اليوميّة ، والتي كان لادخال الحاسبات الآليّة فيها دور كبير ومغال في تطويرها وتحسينها وتقديمها لكافة المستفيدين بشكل افضل وبمستوى أرقى . ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك ايجابيًا على المستوى التعليمي والوضع الثقافي العام للأفراد، على الرغم من بعض التحفظات التي لاتزال قائمة حول هذا الموضوع من قبل بعض مسئوولي التعليم.

ومن هذا المنطلق تركز هذه الدراسة على ابراز أهم الايجابيات التي يحققها استخدام الحاسبات الآليّة في مجال الخدمات التعليميّة ، وتوضيح المجالات الأساسيّة التي تساهم الحاسبات الآليّة في تطويرها، بالاضافة إلى تقويم دور الحاسبات الآليّة في تطوير الخدمات التعليميّة .

ما المقصود بالخدمات التعليمية ؟

يقصد عادة بالخدمات التعليمية تلك النشاطات الاكاديمية وغير الاكاديمية التي يتم انجازها في المؤسسات التعليمية المختلفة، وبشكل عام تقسم النشاطات الاكاديمية الى نشاطات تعليمية مباشرة مثل المناهج التعليمية وأساليب التدريس والمقررات الدراسية وغيرها، بالاضافة الى النشاطات التعليمية المساندة مثل عمليات التسجيل والقبول والمختبرات العلمية وورش العمل والمكتبات وغيرها. أما بالنسبة للنشاطات غير الاكاديمية، فهي التي تتوفر في المؤسسات التعليمية بهدف تنمية مواهب وقدرات وامكانات الطلبة، وذلك للمساعدة في تحقيق الأهداف الاكاديمية المنشودة. وأمثلة هذه النشاطات عديدة ومتنوعة كالنشاطات الرياضية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

وتجدر الاشارة في هذا المجال الى أن الخدمات التعليمية تمثل مفهوما شاملا لكافة المؤسسات التعليمية، وبالتالي فلا تقتصر هذه الخدمات على مؤسسة تعليمية دون أخرى أو على مستوى تعليمي دون آخر. ولكننا نركز في هذه الدراسة على المؤسسات التعليمية التي تستعين بالحاسبات الآلية في إنجاز نشاطاتها المختلفة، في محاولة للتعرف الى مجالات استخدامها وتقييم دورها.

أهمية استخدام الحاسبات الآلية في الخدمات التعليمية

لقد اقتصر استخدام الحاسبات الآلية مع بداية تطورها على النشاطات المالية والمحاسبة. وقد كان ارتفاع تكاليف هذه الحاسبات عاملا مؤثرا في الحد من انتشارها وعدم امكانية الأفراد أو المنظمات الحصول عليها. ومع التطور الهائل الذي حصل على الحاسبات الآلية وانخفاض اسعارها المستمر، أتيحت الفرصة بشكل كبير لمعظم الأفراد العاديين والمنظمات دون استثناء لاستخدام الحاسبات الآلية في معظم النشاطات التعليمية الموجودة. وبشكل عام يساهم استخدام الحاسبات الآلية في الخدمات التعليمية الى تحقيق عدد من المزايا الهامة ومنها[1]:

١ ــ تحقيق السرعة في انجاز الخدمات التعليمية المختلفة سواء كانت الخدمات أكاديمية أو غير أكاديمية.

٢ ــ تحقيق الدقة في انجاز الخدمات التعليمية، خاصة وان البيانات التي تتعامل معها المؤسسات التعليمية تتميز بالضخامة نظرا لارتفاع اعداد الطلبة ومستوياتهم واعداد المدرسين وأنواع المساقات الدراسية وقاعات التدريس وغيرها.

(١) محمود الزهد ومحمد عثمان البشير. «مقدمة في الحاسب الآلي». معهد الادارة العامة، الرياض: ١٤٠٥هـ، ص/١٧١ ــ ١٧٥.

٣ ــ توفير التكاليف الباهظة على المؤسسات التعليمية نتيجة لسرعة ودقة انجاز الخدمات التعليمية المختلفة، وخاصة تكاليف الأيدي العاملة الفائضة عن حاجة العمل، بالاضافة الى تكاليف المستلزمات المكتبية المختلفة.

٤ ــ رفع مستوى اداء العاملين في المؤسسات التعليمية وزيادة فاعليتهم في انجاز الخدمات التعليمية.

٥ ــ رفع الروح المعنوية للعاملين في الخدمات التعليمية نتيجة لانجاز الخدمات التعليمية بسرعة ودقة فائقة، بالاضافة الى توفيرهم للوقت والجهد والتكاليف غير الضرورية.

٦ ــ زيادة فاعلية النشاطات التعليمية المختلفة ورفع المستوى الثقافي والتعليمي العام وذلك من خلال رفع مستويات الطلبة من ناحية فهم واستيعاب المواد المقررة واستخدام الاساليب التعليمية الحديثة فيها.

٧ ــ حل المشكلة الاساسية المتعلقة بالتعليم وهي نقص اعداد المدرسين مقارنة بزيادة الطلب على التعليم، بالاضافة الى عدم كفاءة بعض المدرسين في كثير من الحالات.

مجالات استخدام الحاسبات الآلية في الخدمات التعليمية

يمكن تحديد أهم المجالات أو النشاطات التعليمية والتي تم استخدام الحاسبات الآلية فيها، بما يلي:

١ ــ تخطيط الخدمات التعليمية:

أ ــ **التخطيط للمناهج التعليمية**: ويشتمل ذلك على وضع معايير او مقاييس محددة لقبول الطلبة ومن ثم وضع خطط التخرج التي تشمل برمجة المواد الدراسية خلال الفترة الزمية المحددة لتخرج الطالب، وذلك بما يتناسب مع امكانيات وظروف الطالب. وبهذا يكون الطالب على علم ودراية منذ البداية بالطريق الذي سيسلكه خلال حياته الدراسية.

ب ــ **التخطيط للأساليب التعليمية**: ان وجود اختلافات واضحة بين الأفراد من حيث الامكانيات والقدرات والأهداف، يجعل من الضرورة التخطيط للأساليب والوسائل التعليمية المتناسبة مع هذه الاختلافات الفردية: وقد ساهمت الحاسبات الآلية في مساعدة المدرسين في التخطيط لهذه الأساليب التعليمية من خلال ما يعرف بالتعليم المدار بالحاسب (Computer — Managed Instruction) والذي يعمل على متابعة تطور الطالب بعد مرحلة زمنية معينة من الدراسة، ويتأكد بعد ذلك المدرس من فهم واستيعاب الطالب لمحتويات المادة المطروحة.

وبناء عليه يحدد المدرس الطرق والوسائل التعليمية المتناسبة مع امكانيات هذا الطالب.

ج ــ **التخطيط للخدمات التعليمية المساندة**: يشتمل هذا التخطيط على برمجة القاعات الدراسية بما يتناسب مع عدد المدرسين ومواعيدهم وعدد الطلبة في كل قاعة ومكان وجودها. وبهذا يحل الحاسب الآلي مشكلات كبيرة في هذا المجال وخاصة في عمليات التسجيل والقبول وأعمال المختبرات وورش العمل والمكتبات وغيرها.

٢ ــ تنفيذ الخدمات التعليمية:

لقد ساهمت التطورات الحديثة في مجال الحاسبات الآلية في تنفيذ الخدمات التعليمية بشكل مباشر بين الحاسب الآلي والطالب، دون الحاجة لوجود المدرس كما هو الحال في الأسلوب التقليدي للتعليم. ويسمى هذا الأسلوب الحديث في التعليم بالتعليم المساعد بالحاسب (Computer — Assisted Instruction). ويعتمد التعليم المساعد بالحاسب على التفاعل المباشر بين الطالب والحاسب الآلي من خلال وجود شاشة طرفية امام الطالب يقوم بمتابعة كافة التعليمات التي يبينها الحاسب الآلي وينفذها بدقة. ويمكن للطالب بعد فترة معينة أن يختبر نفسه ويحصل مباشرة على نتيجة الاختبار ويقارن نتيجته بنتائج الطلبة الآخرين. كما أنه بامكان الطالب ان يتناقش مع الحاسب الآلي بحيث يستطيع ان يستفسر عن معلومات معينة أو يسأل أسئلة محددة، بالاضافة الى امكانية تعرف الطالب على مستواه ومدى تطوره خلال فترة معينة.

وبهذا يعتبر تنفيذ الخدمات التعليمية باستخدام الحاسبات الآلية أسلوبا مغايرا لأسلوب التعليم التقليدي، ولكنه يعتمد بالدرجة الأولى على قدرة الطالب على المتابعة الذاتية لكافة التعليمات والتوصيات التي يخرجها الحاسب الآلي. وقد طبق هذا الأسلوب في عدد كبير من المؤسسات التعليمية وخاصة في الولايات المتحدة الامريكية مثل تعليم الطلبة الصم في معهد روشستر التقني، وفي تعليم الموسيقى في جامعة ولاية بنسلفانيا وفي كلية الطب في جامعة أوهايو.

٣ ــ الرقابة على الخدمات التعليمية:

تتركز رقابة الحاسبات الآلية على الخدمات التعليمية في جانبين رئيسيين هما:

أ ــ الرقابة على نتائج الطلبة وذلك من خلال اجراء الاختبارات المختلفة وتصحيحها باستخدام الحاسبات الآلية ووضع التقديرات النهائية لها. ويفترض لتطبيق ذلك توفر نماذج مخصصة لهذا الغرض بحيث يجيب عليها الطلبة بهدف ادخالها في الحاسب الآلي والحصول على النتيجة النهائية مباشرة. كما ساعدت الحاسبات الآلية في هذا المجال الرقابي كافة المشرفين في التعرف على مستويات الطلبة ومدى تطورهم، وذلك من خلال الاحصائيات التي يخرجها الحاسب الآلي عن اختبارات الطلبة كمعدل العلامات لجميع الطلبة في الفصل الدراسي والانحرافات المعيارية وغيرها.

ب ــ الرقابة على مستويات الطلبة وذلك من خلال تحليل اختباراتهم وتحليل الاخطاء الموجودة فيها. وتهدف هذه الرقابة الى تعرف المشرف على مستوى الطالب وكيفية تطوره وتقدمه خلال فترة معينة، مقارنة بمستواه السابق بالاضافة الى مقارنة مستواه مع باقي زملائه بالفصل الدراسي. كما يزود الحاسب الآلي لكافة المشرفين بمعلومات مرتدة بشأن المواضيع أو النقاط التي لم يحقق بها الطالب المستوى المطلوب منه، وذلك باتخاذ الاجراءات التطويرية المناسبة لرفع مستواه فيها.

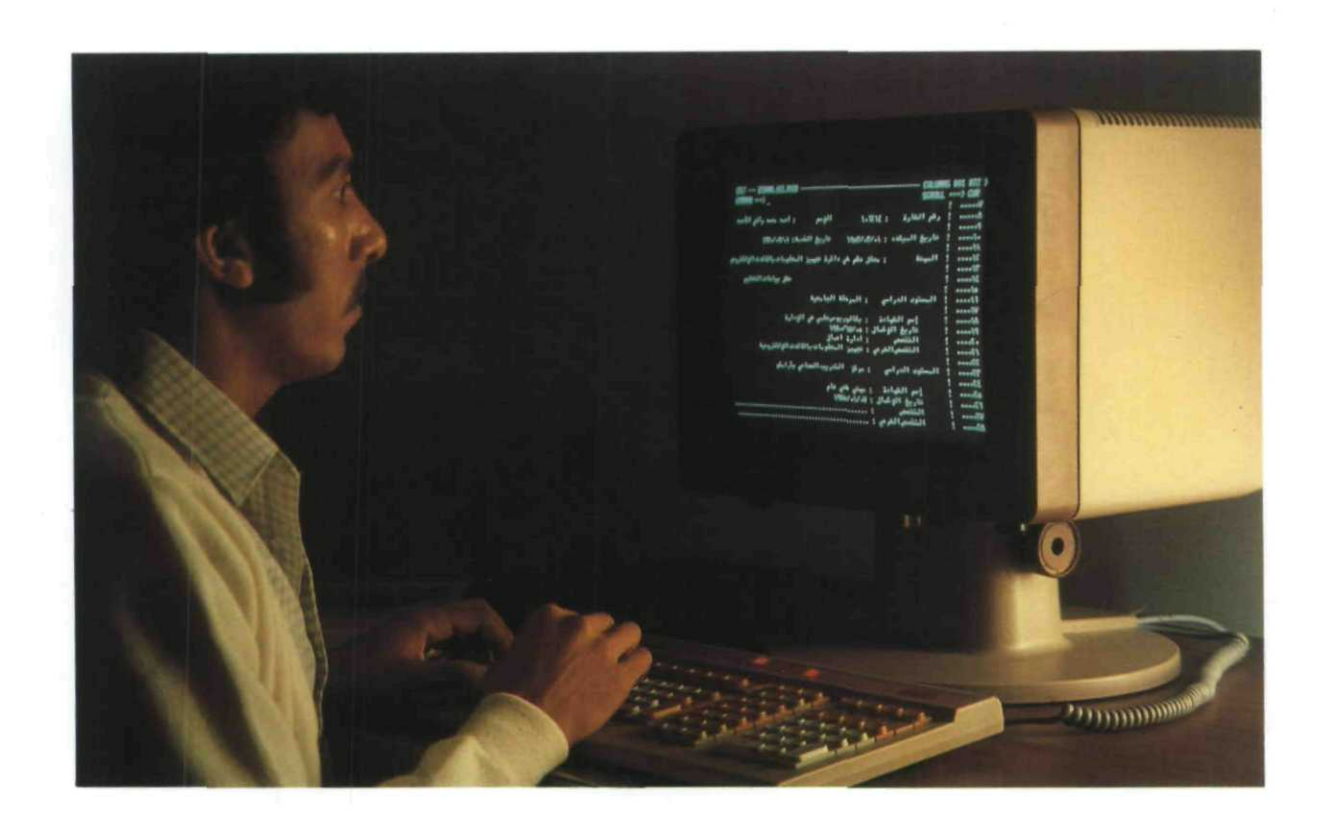
٤ ــ الخدمات الاكاديمية وغير الاكاديمية:

علاوة على المجالات التي تم ذكرها سابقا، فهناك الكثير من النشاطات الاكاديمية وغير الاكاديمية والتي كان لادخال الحاسبات الآلية فيها دور كبير وفعال. ويمكن ان يظهر ذلك جليا في المجالات الهامة التالية:

١ ــ خدمات المكتبات ومراكز الوثائق: لقد ساعدت الحاسبات الآلية في هذا المجال بشكل كبير وخاصة فيما يتعلق بالبحث عن المراجع العلمية والوثائق والمستندات، بالاضافة الى تنفيذ عمليات الاعارة والاسترجاع والتنبيه بتأخير الكتب وتحديد الغرامات المالية اللازمة وغيرها. وقد ساهمت وسائل الاتصال المتطورة في تبادل المعلومات بين المكتبات ومراكز المعلومات في مواقع مختلفة من العالم وذلك بمساعدة الحاسبات الآلية والأقمار الصناعية.

ب ــ خدمات المختبرات العلمية وورش العمل والتي تطورت بشكل كبير نتيجة لاستخدام الحاسبات الآلية، وخاصة في مجال جمع المعلومات واجراء التحاليل العلمية المخبرية والحصول على النتائج الدقيقة وغيرها.

ج ــ الخدمات الرياضية والترويحية المختلفة والتي اصبحت تعتمد بشكل كبير على استخدام الحاسبات الآلية، وخاصة في مجال التخطيط للألعاب الرياضية المختلفة، ووضع الخطط المناسبة لكل لعبة بحيث تعمل على تحقيق الفوز النهائي للفريق.



د ـــ خدمات التسجيل الآلي وخاصة في الجامعات والمعاهد العليا. فقد أتاحت الحاسبات الآلية الفرصة لادارة التسجيل بادخال كافة البيانات المتعلقة بالمواد التي يدرسها الطالب وادخال أية تعديلات سواء بالحذف أو الاضافة على هذه البيانات، بالاضافة الى ادخال كافة العلامات النهائية للطالب في الحاسب الآلي للحصول على سجل كامل وحديث (Updated) عن وضعه أو مستواه الأكاديمي.

هـ ـــ الخدمات الادارية والمكتبية الأخرى، كالأعمال المالية والسكرتارية والنسخ وأعمال شئون الموظفين والمستودعات وغيرها. ويبدو واضحا دور الحاسبات الآلية في تطوير هذه الخدمات وتقديمها بصورة سريعة وبتكاليف أقل.

تقويم دور الحاسبات الآلية في تطوير الخدمات التعليمية

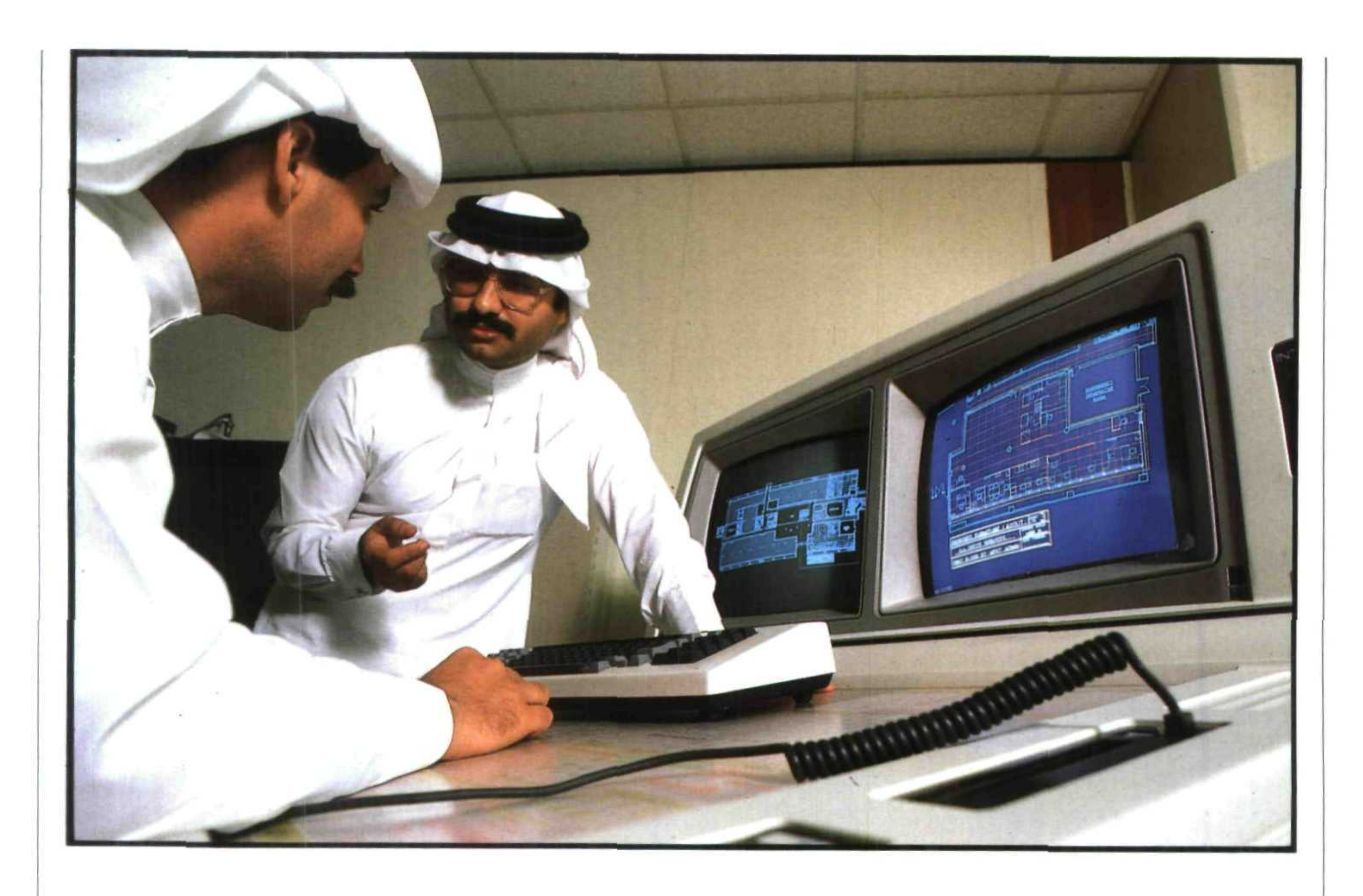
من المعروف ان الأسلوب التقليدي في التعليم يعتمد بشكل أساسي على اللقاء المباشر بين الطالب والمدرس، بحيث يعطي المدرس كافة المعلومات المطلوبة الى الطلبة ويحاول توضيحها بمختلف الوسائل والأساليب العلمية المتبعة في هذا المجال. ويواجه الأسلوب التقليدي في التعليم مشكلات عديدة من أهمها تدخل الاعتبارات الشخصية والمصالح الذاتية في عملية التعليم، والتالي التأثير على مستوى الطلبة وامكانية استيعابهم للمادة. وبالاضافة الى ذلك صعوبة تذكر كافة المعلومات التي يوضحها المدرس لفترة طويلة، فقد اثبتت الأبحاث العلمية بأن ٩٠٪ من المعلومات التي يسمعها الطالب يفقدها في حوالي ٣٠ دقيقة[1]. وهناك مشكلات عديدة أخرى تترافق مع هذا الأسلوب التقليدي مثل اختلاف امكانيات وقدرات الطلبة وعدم توفر المدرسين المناسبين وعدم توفر الوسائل التعليمية المناسبة وغير ذلك.

ومما لا شك فيه ان استخدام الحاسبات الآلية في التعليم ستحل أو تقلل من كثير من المشكلات المترتبة على الأسلوب التقليدي في التعليم، وبالتالي يمكن تحقيق ايجابيات عديدة على المستوى الفردي للطالب أو على المستوى الجماعي للفصل الدراسي. وبالرغم من ذلك، لا زالت هناك تحفظات شديدة من قبل بعض مسئولي التعليم حول هذا الموضوع، والذين يؤكدون على صعوبة تحقيق آلية التعليم والاستغناء تماما عن الأسلوب التقليدي المعروف. ويمكن لنا حصر مبررات هذه التحفظات في النقاط التالية[1]:

١ ـــ ان استخدام الحاسبات الآلية بشكل كبير في التعليم دليل واضح على الاقلال من أهمية العنصر البشري. وفي هذا المبرر بعد انساني واضح لاهمية العنصر البشري ودوره الكبير في التنمية والتطوير.

٢ ـــ يمكن الاستعانة بالحاسبات الآلية كوسيلة تعليمية مساعدة، وذلك لزيادة استيعاب وفهم الطلبة

(١) احسان شعراوي «الكمبيوتر والتربية وتدريس الرياضيات». دار النهضة العربية، القاهرة: ١٩٧٨، ص/٧٠ ـــ ٧٨.



لمحتويات المادة المقدمة لهم. ولكن يفترض ألا تكون عملية التعليم آلية بشكل كلي.

٣ ــ ارتفاع التكاليف المترافقة مع آلية التعليم وخاصة من ناحية وضع البرامج وصيانة الأجهزة وتدريب العاملين وغيرها. كما انه يفترض تطوير البرامج مع تطور الأجهزة وتغيرها بشكل مستمر الأمر الذي يترتب عليه تكاليف مالية كبيرة.

٤ ــ عدم اقتصار مهمة المدرس على اعطاء المعلومات وتقويم اداء الطلبة، بل تتعداها الى المهمة الاجتماعية والسلوكية المعروفة بتوجيه سلوكيات الطلبة وتنمية مواهبهم وقدراتهم وبث روح التعاون بينهم واعدادهم للمواطنة الصالحة.

خاتمة

تمثل الخدمات التعليمية واحدة من المجالات الهامة التي كان للحاسبات الآلية دور كبير في تنميتها وتطويرها. وقد أوضحنا في هذه الدراسة المقصود بالخدمات التعليمية والايجابيات التي يمكن تحقيقها باستخدام الحاسبات الآلية. كما تناولنا أيضا المجالات أو النشاطات التعليمية المختلفة التي ساهمت الحاسبات الآلية في تطويرها بشكل كبير، وخاصة في مجال التخطيط والتنفيذ والرقابة.

وقلنا انه على الرغم من الايجابيات التي يحققها استخدام الحاسبات الآلية في الخدمات التعليمية، إلا أن هناك بعض التحفظات الشديدة من قبل بعض مسئولي التعليم حول آلية التعليم، نظرا لأهمية التفاعل المباشر بين الأفراد في المهمة التعليمية.

وفي ختام الدراسة، نود أن ننوه الى أنه بالرغم من هذه التحفظات حول استخدام الحاسبات الآلية في الخدمات التعليمية، فان سرعة انتشار الحاسبات الآلية وانخفاض اسعارها المستمر، لهو مؤشر واضح على وجود تغير كبير في كيفية النظر للأساليب التعليمية التقليدية والاتجاه حاليا نحو التقنية الحديثة في تطوير الخدمات التعليمية □

المراجع

ــ احسان شعراوي، «الكمبيوتر والتربية وتدريس الرياضيات». دار النهضة العربية، القاهرة: ١٩٧٨.

ــ محمود الزهد ومحمد البشير. «مقدمة في الحاسب الآلي». معهد الادارة العامة، الرياض: ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

رحلة

شعر: د. مُضر صقال / سورية

ـ في عينكِ أبحرتُ
بـزورقْ
فغـرقتُ...
وقبلاً لـم أغرقْ
ـ غادرتُ الشطَّ
وأحلامـي
تتفجـر عينـا تترقــرقْ
ـ أحلـمُ أنّا
في زنبقـةٍ
ترشُفنـا
أوراق الزنبقْ
ـ قـد لـمَّ الزهـر عطايانا
أهداها للشوك
وأغـدقْ
ـ فاذا بالشوك
غدا ورداً
واذا باليابس
قد أورقْ
ـ صادفني ...
أثناء إبحـاري
غيمـاتٌ..
وهلالٌ أزرقْ

ـ فنصبتُ هنـالك خيمـاتي
وشباكا
من عطر المطلقْ
ـ فاصطدتُ فـراشاتٍ حيرى
واصطدتُ
نجوما تتألقْ
ـ وأقمتُ هنالك
أيامـا
وليالـيَ في تيـهٍ مغلــقْ
ـ انتظر
رفيقةَ أحلامي
فبدا لي مَلكٌ
قد أشرقْ
ـ وطواني
تحت جناحَيهِ
وحملني
للأفْقِ
وحلَّقْ



يفتح على الخير، ويفتح على الشر، ويفتح على السلامة ويفتح على العطب.. وهو بين أنملتيك.. ولك الخيار تديره حيث تشاء. ولكن لا تنس أن لك وحدك الغنم وعليك وحدك الغرم.

بقلم: علي مظفر سلطان/حلب

كانت غرفة والدي الخلفية في دارنا القديمة واجمة كئيبة ساعة الضحى هذه.. وقد زادها الموت كآبة ووحشة.

أجل.. فقد قضى أبي نحبه منذ لحظات وأسلم الروح الى بارئها، وأنا في مجلسي على طرف السرير، يدي في يده وعيناي على عينيه الغاربتين، وأنفاسه المترددة، فالمتعثرة، فالوانية.. ثم الصمت الأبدي الراصد.

ولما هممت بالنهوض، ساحبا يدي برفق من يده التي كانت ما تزال دافئة شيئا ما أبى أن يتخلى عنها.. فانداحت قشعريرة ثلجية من ظهري حتى قمة رأسي.. فجذبت يدي باصرار مذعور ونهضت..

كانت أمي متربعة على الأريكة القديمة عند رأسه وعلى عينيها نظاراتها الطبية، سمعتها تقول بصوت محترق:

— الى رحمة الله أيها الرجل الصادق.. الى رحمته وغفرانه وفسيح جناته.. واني لأشهد بأنك كنت نعم الرفيق والصديق، ونعم الزوج والأب والعائل و...

ولم أتريث لأسمع بقية وداعها القانت، وخرجت الى صحن الدار.. الى أختي وخالتي وابنتها وسيدتين أخريين ممن هرعن يشاركن في العزاء.. خرجت اليهن بالنبأ الفاجع على وجهي.. وتبعتني أمي خارجة من غرفة الصمت وقد غرقت عيناها في فيض من الدمع الهتون، وعلتها كبرة رائعة.. وكأني بها قد شاخت في عشر دقائق عشر سنين.

ومن خلف زجاج مهشم أغبش رحت استعيد بعض ذكريات أبي فتمر في خيالي كشريط باهت مفكك، فأراه بقامته القصيرة ووجهه السمح ولحيته الصهباء، وبسمته الحانية التي لا تفارق عينيه ولا شفتيه.

كان يعمل في مصلحة الجمارك، وكان نزيها لا يقبل الرشوة بأي مبلغ ومن أي انسان الا السجائر فقد كان يقبلها كهدية لا كرشوة ليسرع في انجاز معاملة من يقدمه له وكان مدمنا على التدخين حتى تندر به بعضهم فسماه المدخن منذ الولادة، وسماه آخرون المدخن ذا عود الثقاب الواحد. وحتى أصيب في أخريات حياته بسعال خفيف ثم متواتر ثم مزمن ثم أصيب بسرطان الرئة فمنح اجازات متعاقبة بدأت تمتد تباعا حتى سرح من الخدمة بثلثي الراتب ثم مات.. مات بعد أن انقطع عن تناول الأدوية لأنه بدأ يحس بأن ثمن هذه الأدوية إنما يقتطعه من قوت عياله.

والشريط الباهت المفكك ينقطع تارة ويتصل تارة أخرى.. ها هو ذا بقامته القصيرة ووجهه السمح وبسمته الرضية التي في عينيه لا على شفتيه، ولحيته النامية، يصحبني الى المدرسة الابتدائية القريبة حاملا عني حقيبتي القديمة التي كانت حقيبته ثم تخلى لي عنها بعد أن صبغها بلون زاه موصيا اياي بأن احترس حتى عودتي من المدرسة عصرا عند عبور الشارع العريض الوحيد الذي علي أن أعبره.. ها هو ذا يساعدني مساء كل يوم في كتابة



وظائفي المدرسية وحفظ دروسي في المرحلة الابتدائية حتى اذا ما بلغت المرحلة الاعدادية فالثانوية شحت هذه الدروس ثم انقطعت لانقطاع معلوماته هو عن متابعتها.. ها هو ذا بعد أن نلت شهادة الثانوية بمعدل هزيل ودخلت كلية التجارة، يفتح محفظته الجلدية، ويقاسمني ما فيها من مال زهيد.. فقد أصبحت شابا وطالبا في كلية التجارة، ومن حقي، حفاظا على كرامتي قبل كل شيء، أن يكون لي محفظة، وأن يكون فيها بعض النقود.. فالنقود هي الحاسة السادسة التي لا يستطيع المرء بغيرها أن ينعم بحواسه الخمس الأخرى.

لقد أحضرت أختي الطبيب من عيادته ليعطينا شهادة بالوفاة وترخيص بالدفن ولن أنسى موقف ذلك الطبيب عندما ناول والدتي الترخيص عندما قال:

— تعازي الخالصة يا سيدتي وهاك الترخيص،وثقي بأني لا أترك العيادة في مثل هذه الساعة الا بتعويض قدره مائة ليرة.. أما لكم أنتم فانني اكتفي بخمسين فقط.

فما كان من أمي، وقد احتبست دموعها، إلا أن تلجأ الى طريقتها الأولى والأخيرة، فمدت يدها الى صدرها وجذبت المحفظة السوداء البالية وأفرغتها على طرف سرير الميت:

— دكتور.. أنت الذي عالجته وهو حي فترفق به بل بنا وهو ميت.. قسما.. هذا كل ما نملك.. وفاضت دموعها كمطر الربيع..

فتحرك في نفس الطبيب هاجس لعله الخوف او الرحمة أو هما معا، وناولها الترخيص وهو يقول قاصدا الباب:
— هاك الترخيص، وأكرر التعازي، واني انتظر ان تبعثوا لي بالمبلغ حين.. حين..
ولم يجد الكلمة اللائقة فبلغ الباب، ثم بلغ سيارته وصفق بابها وأطلق محركها وكأني به كان يغمغم لنفسه:
— أية مهنة شاقة مهنتنا هذه، انها مسؤولية محتمة على الأحياء وعلى الأموات.

وما انقذنا من هذا الموقف المزري الا دخول اختي الكبرى — امي الثانية كما كنت انعتها من أعماقي — بعينيها المقرحتين بغير دمع، ووجهها المنتفخ، وقذفت أمامنا، وكأني بها تقذفها أمام الدنيا بأسرها، رزمة صغيرة من الأوراق النقدية الكبيرة قائلة:

— هاكم المبلغ الذي تحتاجون اليه ويزيد..
فسألت أمي في استغراب بلغ حد الذهول وكنا في المطبخ وحدنا:
— ممن؟.. من عمتك؟
فردت اختي تقول كالظافرة:
— أجل من عمتي.. عمتي المسكينة المشلولة التي تملك كثيرا من المال ولكنها لم تعد تملك ما يسمح لها بانفاقه.
فسألتها أنا كالأبله الذي لا يكاد يصدق ما يراه بأم عينه:
— وبأي مقابل؟
فقالت أختي ترد علي وعلى أمها التي لم تسأل بجفاء لم نعهده فيها قط:
— المقابل.. المقابل لئيم.. بل هو ألأم من ميت مسجى ليس ثمة من يحمل جثمانه.. انها مشلولة ووحيدة وابنتها لا تستطيع ان تلازمها ليل نهار.. والخادمة الصغيرة التي استأجرتها لها لا تستطيع أن تقوم على خدمتها وتنهض بأعباء البيت وتسليتها ومؤانستها قبل كل شيء.. فهاكم ألفين واربعمائة ليرة تعويضا عن انتقالي اليها واقامتي معها في منزلها لمدة عام.
فسألتها وصوتي محتبس:
— وقد قبلت؟
— بل شكرت.
— وتعملين مسلية؟
— بل مؤنسة.
— وما الفرق؟
فعادت اختى الى لهجتها الجافة وهي تغادرنا الى الحجرة الأخرى التي توافد اليها من تسامع بالخبر من الجيران والأقارب الأدنين.
— كالفرق بين الأجير والوزير كلاهما يعمل وكلاهما يتلقى أجره، فقلت أسألها ممعنا في اللجاج:
— والكرامة؟
فقالت تجاريني في حدتي ولجاجي:
— لا ينبغي لمن يعيش في مثل أيامنا هذه ولا مال عنده ان يتحدث عن..
فقلت أسألها في سخر قاس:
— ابدا..
— ابدا.. الا اذا كان له سياج من مال او منعة او قوة..
وكأني بزوج خالتي — وقد علم بوصول المبلغ الضخم في هذا الظرف الكالح، قد ردت اليه الروح خشية ان تتحول الآمال اليه، وحانوته بجملته وبكل ما فيه لا يكاد ينهض بعبء الجنازة ونفقات البيت ريثما تنتهي معاملة التقاعد. أجل ردت اليه الروح وسأل أمي مستعجلا:
— الآن لا بد من المضي لاجراء المعاملة فبأي درجة ترغبون في أن تحسب؟
— في أية درجة؟.. وهل في الموت درجات؟
فرد الرجل كالساخر الحزين:
— أجل ففي الموت كما في الحياة درجات.. وأنا أرى ان نجعله في الثالثة فالحي أفضل من الميت كما يقولون وانتم..
فقالت امي ترد عليه وهو تعود الى دمعها الهتون:
— تصرف كيف شئت ولك منا جميعا أصدق الشكر على أصدق الوفاء.

ورقـد عند غروب ذلك اليوم الكالح، أبي الطيب العطوف الباسم ذو اللحية النامية والبسمة الحانية في مثواه الأخير، وعدنا انا وزوج خالتي ومن شارك في مراسم التشييع من الصحب والجيران وهم يعدون على الأصابع، الى المنزل لاستقبال المعزين.
وانقضت أيام.. وانتقلت اختي الكبرى بثيابها القليلة وآلة خياطتها الى منزل عمتي، ورحنا نكابد الأيام في استنجاز معاملة التقاعد لأبينا الراحل، والتماس عمل لي أكتسب منه دخلا يقوتني ويقوت أسرتي. وأخيرا قبل أحد كبار تجار الجملة، وكان يعرف والدي، على العمل عنده لقاء ستمائة ليرة شهريا.. وقد حدد لي طبيعة العمل حيث قال لي.
— إن عملك هو ملاحقة قضايا المتجر في شتى دوائر الدولة وفي الجمارك خاصةً، وفيها أناس كانوا زملاء لابيك الراحل وحري بهم ان يسهلوا مهماتك، قبل الظهر، وتضبط حسابات المتجر بعد الظهر و... قلت:
— يا سيدي ان مبلغ ستمائة ليرة الذي تعرضه علي كان وافيا بل ضخما منذ أعوام.. أما اليوم وكيلو اللحم بأربعين ليرة فهل ترى من الانصاف ان أعمل بأجر يومي هو ثمن نصف كيلوغرام من اللحم؟
فردّ عليّ في سخر لئيم:
— ولم لا تقول انه ثمن عشرين كيلوغراما من الخبز؟
ومد يده السمينة يصافحني.. أعني يطردني وهو يقول:

— ومهما يكن من أمر، فبامكانك ان تحضر الينا بعد شهر لنتفق وأرجو أن نتفق. وضحك بتهكم هو أشبه بالوعيد.

وخرجت من عنده. وفي المساء، وقد وجدت في جيبي ما أدفعه أجرا للمقهى المتواضع الذي ألفنا أنا وبعض صحبي أن نلتقي فيه، وحدثتهم حديث التاجر المنعم المتفضل، فنظر أحبهم اليّ نظرة شرر. وعدت الى المنزل ووجدت اختي الكبرى تسرد على أمي كيف حصلت على المال من عمتي وكيف انها قبلت ان تعمل على راحتها مقابل ذلك المال الذي جهزنا به دفن والدي. وقد سألتها أمي كيف قبلت ان تعملي في هذا المجال.. قالت لها:

— الحاجة قاسية بل قاتلة يا أماه.

ورفعت صوتها لتسمعني، وأنا أسمع بكل سمعي وجوارحي. أجل الحاجة كدمل.. كسرطان.. كموت في الحياة.. الحاجة المولعة برفع بعض الأوغاد وخفض بعض الأخيار أولئك الذي يدخلون الحياة ثم يفارقونها وقد خلفوا فيها كل ما يملكون: الحسرات والتأوهات..

ان الذئب يجد في الفلاة، وفي الليلة القرة حاجته، أما بعض الناس وفي بعض الأمكنة من العالم فيهلكون جوعا قبل أن يجدوا لقمة يقتاتون بها حتى في صفائح القمامات.

لقد اعطتنا عمتي ما نتخلص به من الجثة — جثة أخيها.. ولكن بعد أن استبقت اختنا بخدمتها لمؤانستها والعناية بها ولكن بأجر.

ثم.. ثم ان هناك المحفظة، وهي منتفخة، وبعض ما فيها.. وليس كله، يكفي لسد الحاجة بل لضربها ضربة قاضية نهائية. أية خواطر عنيفة عنيدة مرت بخاطري وأنا سادر في ضجعتي المستغرقة تلك، ان الحيوان وهو أدنى دَرَكاً من الانسان، لا يفترس الا اذا جاع او هوجم.. فاذا جاع افترس، وأكل حتى يشبع فاذا شبع ترك الفريسة ولا يعنيه لمن تكون من بعده انه يشبع ولكنه لا يدخر.

وومضت الفكرة في رأسي كلمحة من برق سطع بغتة في ليلة ربيع ممطر. وكانت أمي وأختي قد برحتا الغرفة الى غرفة اختي لانهما رأتاني لا أنهض ولا أشارك في الحديث فوثبت من السرير وارتديت ثيابي على عجل، وفتحت محفظة اختي التي كانت قد تركتها على الأريكة القديمة بجانب سرير أمها، فاذا فيها بعض النقود ومفتاحان أعرف احدهما فأخذت الثاني، وأخذت من محفظة أمي خمسين ليرة أعرف انها كانت تحتفظ بها فيها وخرجت من الدار دون أن أكلم احدا.

وبعد ساعة تقريبا عدت الى الدار ومعي المفتاح المخلص.. وأعدت مفتاح اختي الى حقيبتها وزعمت لأمي بأني أخذت الخمسين ليرة للانفاق على بعض معاملات توظيفي.

وعادت أختي الى دار عمتها مساء اليوم التالي ولكنني لم أجرؤ على ارتكاب فعلتي الكبرى ليلة بعد ليلة، على الرغم من أنني اصطنعت مفتاحا للباب الخارجي وبضعة مفاتيح صغيرة اخرى، واشتريت مصباحا كهربائيا صغيرا بحجم القلم لأتبين معالم الغرفة وأقوم بمعالجة قفل الصندوق..

ألا يحتمل أن يكون زوج ابنة عمتي لم يعد من رحلته بعد، وان تكون زوجته باقية عند أمها ما تزال؟ انتظرت ليلتين وفي الثالثة بدأت في التنفيذ، قلت لأمي إني سأذهب الى زيارة بعض الأصدقاء مساء فلا ينبغي لها ان تقلق لتأخري، وأمضيت أول الليل مع صحبي في المقهى، ثم شاهدت التلفاز — وبعد منتصف الليل — ولم أشأ أن أمر بالحارس في كوخه — كنت واقفا امام دار عمتي، غارقا في معطفي القديم الرقيق، ملاحظا بعجب بل بسخط النور الذي يشع في غرفة عمتي وهي الوسطى بين غرف الدار كما أعلم. اذن فما علي الا ان اتمشى في الشارع التماسا للدفء وابعادا للشبهة.. وتمثلا للعملية الرهيبة.

أما عمتي فمشلولة ولا حذر من خروجها من غرفتها والالتقاء بها بحال، وأما الخادمة الصغيرة فتبدأ بالتهويم والنعاس بعد حلول الليل، وأما ابنة عمتي — اذا كانت عند أمها ما تزال — فتلك هي الطامة الكبرى، وهي الفضيحة التي لا بد من أن تنتهي بالسجن.

ثم ان هناك أسئلة ملحة أخرى كانت لا تفارق خاطري ساعة.. وكان لا بد لي من الاجابة عنها قبل أن أقدم على ما نويت الاقدام عليه..

— أين امضي الوقت حتى يطفأ النور في غرفة عمتي، بل حتى قبيل الفجر؟ وهي الساعة التي لا بد ان يهجع فيها حتى من كان قد اعتراه الأرق.
— كيف أعبر البهو والممر لأصل الى الصندوق وهو في آخر غرفة وفي آخر الممر؟
— كيف افتح الصندوق اذا لم تعمل هذه المفاتيح المختلفة التي جمعتها واصطنعت بعضها لفتحه؟
— فاذا فتح الصندوق فالعثور على المحفظة سهل، فهل آخذها بجملتها؟
— أم أغرف منها على ضوء المصباح الكهربائي ولو للحظة واحدة، ثم أعيد كل شيء الى ما كان عليه.
— ولكن أين سأخبىء المحفظة، أو ما سأغرفه منها، وأمي تعرف كل شبر بل كل أصبع في البيت؟
— ثم كيف سأنفق من هذا المال على نفسي وعلى أمي وأختي وأنا لم أعمل بعد، فأمي تحاسبني على انفاق القرش الواحد؟
— وثالثة الأثافي، بل الطامة الكبرى ان التقي باختي نفسها وأنا أمرق من البهو أو وأنا عاكف على معالجة قفل الصندوق.. لكن تكون هناك فضيحة ولن يكون هناك

شرطة ولا سجن.. ولكن.. ولكن وشعرت بأصابع من فولاذ تقبض على شيء في صدري فتعصره حتى لأكاد اختنق.. وأنكص.

أجل لن يكون هناك فضيحة ولا سجن ولكنني سأخسر أختي.. ثم أمي.. واختي الصغيرة وابنة خالتي.. وأمها.. وصحبي ومعارفي.. و..

واذا ما انتهت العملية بنجاح هذه الليلة، فهل ستبقى مستورة الى الأبد؟ ستفتضح.. ستفتضح.. وستكون المتهمة الأولى أختي وسيكون هناك تحقيق فاستجواب قد يشمل أمي واختي الثانية وخالتي.. وأنا الفاعل الحقيقي. وكمن يدنو من هاوية سحيقة.. لا يستطيع الوقوف، ولا يملك الرجوع، رحت اتسكع امام بيت عمتي والنور لا ينطفىء والخواطر لا تنقطع والبرد يكاد يشل اطرافي، ومما زاد في مخاوفي ذلك الشريط السينمائي الرهيب الذي كنت قد شاهدته تلك الليلة: وملخصه ان شابا مراهقا يعمل على تعقيده وتضليله مدير مؤسسة، ثم زوج أمه، يتورط في جريمة تنتهي به محاولته التملص منها الى جرائم اخرى عنيفة ورهيبة وفي محاولته الأخيرة للافلات من قبضة الشرطة، وكان يحمل مسدسين وذخيرة وافرة وقد أصاب نفرا منهم بجراح فلم يجدوا بدا من احضار أمه وجعلها تسير امامهم وهم يتقدمون اليه حتى طوقوه وحتى استسلم. وكافأ رجال الشرطة الأم الوالهة بأن سمحوا لها بأن تعانق ابنها الغالي وتقبله وتودعه الوداع الأخير، بعد أن جردوه من مسدسه وذخيرته وكبلوا يديه ثم ساقوه الى مصيره.

وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل كان النور ما يزال يشع في غرفة عمتي والبرد يقرس اطرافي ووجهي ويرغمني على الانكماش في معطفي أكثر فأكثر، كسلحفاة تتوجس من خطر.. وما علي قبل أن أبلغ حافة الهاوية السحيقة إلا أن اقلع عن هذه المجازفة المجنونة وأعود الى ما أنا عليه من حاجة وفقر وحرمان وأمن.

وأطبقت عليّ وحشة الليل، وبرده وظلامه.. وهول البنايات القائمة أمامي ومن حولي، والنظرات المستريبة التي كان يرميني بها من كان يمر بي عجلان لهفان الى منزله، وغزتني بذعر شديد لا عهد لي بمثله والاصابع القاسية التي كانت تطبق على شيء في صدري كانت تشتد وتمعن.

والحارس الليلي الذي كان يمشي جيئة وذهابا بالقرب من كوخه لا يقترب مني ولا يحدثني.. أتراه كان ينتظر أن أبدأ فيبدأ؟. وسيارة تمر بي مبطئة على ريث وسائقها يشملني بنظرة مستريبة ثم بأخرى ثم بثالثة ثم يبتعد.. والنور في الغرفة الوسطى ما زال يشع.. وهرة عجلى وقحة النظرات تمر بي وكأنها تقول بصوت مسموع:

— ما أوقفك في هذا المكان وفي هذه الساعة؟؟ ستسرق..؟

وتساءلت على الرغم مني: كيف يقترف المجرمون جرائمهم وبأي تصميم؟ وبأية أعصاب؟ وهل ثمة أصابع من صخر تقبض على شيء في صدورهم كما تقبض هذه الأصابع القاسية على هذا الشيء في صدري؟ أيقترفونها عن ظلم أم لدفع الظلم؟ حسنا وهل يدفع الظلم بظلم مثله؟ لا شك ان نفي الجريمة لا يكون بجريمة مقابلة أو مماثلة، بل بجهد القلوب الخيرة والعقول النيرة والضمائر الحية التي تعمل للخير. وبغتة وبغير تمهيد ولا تعليل، ومن أعماق نفسي أخذت أسأل:

— أأنا هنا لأسرق أم لأتفلسف.. ولو أن هذه الحقيبة كانت لي وكنت مريضا أو مشلولا أكنت أسمح لأي كان بالسطو عليها وسرقتها؟ وليس هذا بمالي بل ان مالي هو الذي اجمعه بكد يميني وعرق جبيني..

وشعرت بلهفة طاغية الى كأس من الشاي، الحار ليحرق شفتي، أشربه لعل هذه الأصابع الخانقة تفتر عن نهش صدري.. وبحاجة قاهرة الى الدفء.. دفء البيت.. ودفء الفراش ودفء الأم ودفء.. ودفء الأمن..

والنور الساهر في الغرفة الوسطى لا يتعجب ولا يكل ولا يهجع.. ويدي تعبث بالمفتاح المريب وهو في جيبي، وعقلي غدا كعقل مدمن يصحو من سكره ضائعا ثم يعاوده فيتردى في سكر أضيع.. ويدي تعبث بالمفتاح، وأوصالي ترتعد من البرد والجوع والخوف ورشفة من شراب حار حتى ليحرق شفتي، ثم تمدد مريح في فراشي الصديق القديم وغيبوبة وادعة ناعمة أعز عندي وأغلى من مال عمتي ومال الدنيا بأسرها.

ولكن الهاوية المجنونة ما تزال تستوقفني بل تجذبني، وأنا أتسكع امام الدار، والنور لا ينطفىء ولا يريد ان يغفل.. ما بالهم لا ينامون؟ الساعة قد جاوزت الثانية والنصف والليل يهم بالرحيل، وأنا بين السلامة والعطب كجثة جريحة طريحة تعي كل ما حولها ولكنها لا تستطيع ان تنهض.

ولم يبقى مني في قرارة الوعي الا سؤال دافىء لا يعجزه ان يجد صوته ليسأل، مرددا في نفسي: ولكنك لو كنت مريضا او مشلولا او محتضرا وفي حوزتك حقيبة مملوءة بالمال أكنت ترضى ان يسطو عليها او على بعض ما فيها انسان؟ انك لن تعرف الحق حق معرفته حتى يكون لك.

والنور لا ينطفىء، والبرد يجمد اطرافي وينتقل الى دماغي نفسه فيجمد وأجمد.. وأموت.. كلا.. كلا.. لا أريد أن أموت ولا أريد مالا ولا متاعا. أنا في حاجة ملحة الى الدفء، الى البيت.. الى الأمن، المال عزيز ولا ريب.. ولكن الدفء والأمن والسلامة أعز وأبقى.

وكنت أقف على حافة أرض خراب فيها عشب كثير فمددت يدي الى المفتاح فقذفته على مدى البصر وقذفت المفاتيح الأخرى وانطلقت اعدو الى البيت، الى الأمن، والى دفء السرير ودفء الضمير□

ولي الدين يكن
«١٨٧٣ - ١٩٢١»

بقلم: د. نقولا زيادة / بيروت

كنت طالبا في دار المعلمين (١٩٢١ ــ ١٩٢٤) في القدس عندما تعرفت لأول مرة الى بعض كتب ولي الدين يكن: «المعلوم والمجهول»، و «الصحائف السود». ولما صدر ديوانه (١٩٢٤) ووصل الى فلسطين كنت قد بدأت التعليم في مدرسة عكا الثانوية (١٩٢٥ ــ ١٩٣٥)، فاقتنيت الديوان. ووجدت في الكاتب (وفي كتب ولي الدين النثرية المذكورة كثير من الشعر) والشاعر شيئا جديدا. أحسست كأن هذا الرجل يكتب بأحرف من نور ونار وكأنه، وهو يودع افكاره الشعر، يستعير من الجنة الرقة أو من جهنم النار. وفي جميع حالاته ــ كاتبا وشاعرا، متألما ومتبسما، تعيسا أو سعيدا ــ كان ولي الدين يكن صادقا! تحس ذلك في كل ما دوّن وكل ما كتب وما قال. ولعل هذا الصدق هو الذي جعل لولي الدين مكانة خاصة في نفسي. فقد قيل لنا، مثلا، إن أعذب الشعر أكذبه، فوجدت أن أعذب الشعر وأقواه وأبعده أثرا في النفوس هو أصدقه. ولست أكتم القارىء انني كنت أعود الى ما خطته يراعة ولي الدين فأعيد قراءة الكثير منه.

ولي الدين تركي الأب شركسي الأم. ولد في استانبول سنة ١٨٧٣، وانتقل الى مصر مع والده لما ارتحل اليها. وكان لا يزال طفلا في السادسة من عمره لما توفي والده (١٨٧٩). فكفله والعائلة عمه علي حيدر باشا يكن ناظر المالية المصرية. كان والد ولي الدين قد عهد الى معلم خاص لتلقينه مبادىء العربية. أما الآن، ولعل ذلك كان بنفوذ علي حيدر باشا، فقد ضم الصبي الى مدرسة الانجال، وهي المدرسة التي كان الخديوي توفيق قد أنشأها لتعليم ابنيه وبعض اولاد الاسرة العلوية. وبين هذه المدرسة ومدرسة مارسيل العالم الفرنسي الذي كانت مدرسته تعلم الفرنسية، والمدارس الاميرية بعد ذلك، خرج ولي الدين وقد «أتقن العربية والتركية وأحكم الفرنسية وألمّ بالانكليزية واليونانية».

ويبدو أن نزعة ولي الدين نحو الكتابة جاءت نتيجة رغبة نفسية داخلية. فهو، ولما يبلغ العشرين، أخذ يكتب المقالات في الموضوعات المتنوعة، ويبعث بها إلى الصحف المصرية.

كتب في السياسة وفي الأدب وطَرَق شؤونا اجتماعية. وبلغ به الأمر أن أصدر، في هذا الوقت المبكر، مساهمة مع أحد الصحفيين (يوسف فتحي بك)، جريدة المقياس.

وقد كانت نظرة الناس، والطبقة الارستقراطية بشكل خاص، الى الصحافة نظرة ممتزجة بالشك والريبة. وكانت «الوظيفة» هي السبيل لتحقيق الاطمئنان، ولاتخاذها نقطة انطلاق لتحقيق أماني الشخص نفسه وآمال أهله به وله. وبعد مدة يسيرة في وظيفة في النيابة الأهلية، أُلحق ولي الدين بالقسم الأجنبي في معية الخديوي السنية. وكان في العشرين من عمره.

وزار ولي الدين استانبول (١٨٩٦)، وهي مسقط رأسه، حيث قضى سنة كانت ذات أثر كبير في نفسه، اذ أغنت تجاربه.

وعاد الى مصر، وقد أدرك من اضطراب الأمور في عاصمة الدولة العثمانية ما حمله على الاندفاع في الدعوة الى الاصلاح. وأنشأ جريدة دعاها «الاستقامة» فأصبحت منبره الخاص. لكن هذا المنبر لم يرق لأولي الأمر في استانبول. فمنعت «الاستقامة» من الدخول الى الولايات. فأوقفها صاحبها مكرها وقال في وداعها.

ولما غدا قول الصواب مذمما
عزمت على أن لا أقول صوابا
فجافيت أقلامي وعفت «استقامتي»
ورحت أرجي للسلامة بابا

لكن قلم ولي الدين كان قد اعتاد على الكتابة، فلا سبيل الى وقفه، وكانت جريدة «المشير» وجريدة «المقطم» وجريدة «القانون الاساسي» ميدانا لما يكتب.

وعاد ولي الدين الى استانبول، ووظف في الدولة، فكان عضوا في مجلس المعارف الاعلى. لكن ذلك لم يشفع لماضيه (وحاضره) الذي كان موسوما بأنه دفاع عن الحرية، ولذلك ألقي عليه القبض سنة ١٩٠٢، وبعد أن قضى بعض الوقت في سجن ضيِّق، نفي الى سيواس وظل هناك الى سنة ١٩٠٨. ولكن لما وصل سيواس منفيا، عينته الحكومة العثمانية في منصب محترم، ويكفي ان مرتبه الشهري كان يدفع له بالليرة الذهبية وقدره خمس عشرة ليرة فقط.

وجاءت سنة ١٩٠٨، وأُعلِن الدستور، وخرج ولي الدين من منفاه. عاد الى استانبول، ولكن اقامته فيها لم تطل، فاتجه الى مصر واستقر هناك.

ولعل من أطرف ما يلفت الكاتب (أو القارىء) بالنسبة الى سنة ١٩٠٨ هو هذا الامل الذي علقه الناس يومها على اعلان (والأصح إعادة) الدستور، وشيء آخر حريٌّ بالاهتمام هو أن عددا كبيرا من رجال الفكر العربي كتبوا مقالات أو كتبا تدعو الى الاصلاح وتعلل أسباب الانقلاب (١٩٠٩). فسليمان البستاني وضع «عبرة وذكرى»، ومحمد روحي الخالدي وضع «الانقلاب العثماني»، ومع أن ولي الدين لم يضع كتابا كمؤلَّف كامل فقد ترجم عن التركية «خواطر نيازي» ووضع له اسما اضافيا هو «صفحة من تاريخ الانقلاب العثماني الكبير».

لما عاد ولي الدين الى مصر، وبعد بعض الوقت، بَسَمَ له الزمان، اذ عين في وزارة العدل (الحقانية يومها). وفي عام ١٩١٤ عينه السلطان حسين كامل سكرتيرا عربيا لديوان كبير الأمناء. لكن البسمة لم يطل أمدها. فقد أخذ المرض سبيله الى الصدر الملِيء بمصائب الناس ومشكلاتهم وقضاياهم، فلم يستطع هذا الصدر ان يقطع الطريق على «الربو».

ويبدو أن اشتداد المرض على أي من الناس يؤدي الى تضخيم ما يصيبه من النكبات، أو أن النكبات تزيد من حدة المرض وشدته. على كل فقد تحالف الأمران على ولي الدين، فاضطر الى ترك عمله في قصر السلطان (١٩١٩)، وأوى الى المنزل الى أن أُعْفِيَ من مصارعة الربو في ربيع ١٩٢١.

لست أطمع في أن أرسم صورة لشخصية ولي الدين في هذه العجالة. ولكنني أود أن أشير الى ما يمكن اعتباره المفتاح لدراسة هذه الشخصية. ولي الدين يكن كان كاتب «المقالة» المجلي في عصره. وجميع الكتب التي ظهرت له، في حياته وبعد وفاته، هي مجموعات من المقالات، باستثناء رواية «دكران ورائف»، وهي رواية اجتماعية. وقد كتب المقالة كثيرون ممن عاصر ولي الدين، لكن صاحبنا تميز في أنه كتب في جميع أنواع الموضوعات، فمقالته كانت شاملة. وكانت مثل أشعاره، تكشف عن أمرين امتزجا معا بشكل ملحوظ، وهما: المنطق السوي والعاطفة الجائشة. وقد تنبهت منذ وقت طويل الى ظهور هذين الأمرين بشكل واضح في المقالات والشعر، وان كانا في الأولى أوضح منهما في الثاني. إقرأ يا أخي مقالات ولي الدين وتنبه الى «النبضات» التي تلحظها في كتاباته. هذه النبضات الكتابية، وهي عفوية، هي مقياس لشخصية ولي الدين ككاتب وشاعر.

لولي الدين الآثار المطبوعة التالية: «المعلوم والمجهول»؛ و «الصحائف السود»؛ و «التجاريب»؛ و «خواطر نيازي» (المترجمة عن التركية)؛ و «الديوان» (الذي جمعه أخوه يوسف حمدي يكن)؛ و «دكران ورائف». وكل من هذه، كما ذكرنا، مجموعات مقالات أو قصائد. وولي الدين ينتقل في مقالاته من الشعر الى النثر، ومن النثر الى الشعر، على أهون سبيل. وأي مقال اخترته أو أية قصيدة وضعت اصبعك عليها، تجد فيهما شعور الرجل الذي أراد أن يعيش الناس بشرا سعداء، ولكنه رأى مصائبهم الكثيرة، فرسم صورا قلمية للمشكلات والآلام، آملا في أن يؤدي هذا الى الاصلاح.

هذا جزء من رسالة بعث بها الى صديقه انطون الجميِّل بتاريخ ١٢ شباط/فبراير ١٩١٨ يصف داءه قال:

«أنا في يأس شديد من زوال هذا المرض.. الذي عجز الطب عن دفعه وهو المسمى الربو. اذا دجا الليل تكاثرت مخاوفي فلا يغمض جفناي فرقا، لأني لا أغفي إغفاءة الا وانتبه صارخا مذعورا، اذ تنقطع أنفاسي، ويشتد اضطراب قلبي، وتبرد يداي ورجلاي، فاختلج مكاني واتلوى تلوِّي الأفعى ألقيت في النار. أريد تنفسا استعيد به ما يوشك أن يذهب عني من الحياة، فلا أجده. حتى اذا بللني العرق وأنهكني التعب عاودتني أنفاسي شيئا فشيئا، وذهبت النوبة على أن تعود بعد ساعة أو ساعتين. ومصير مثل هذا المرض معلوم.. لا ادري أمن الموت وما انتظر من أهواله يزداد جزعي؟ وما تطلع علي شمس يوم الا وزادتني قربا من قبري. والهفي على آمال تحولت آلاما! وواحسرتي على أيام عمر ما ضحكت لي مرة إلا جعلت دموعي لها ثمنا».

بمثل هذه الروح وهذا النفس والاسلوب كان ولي الدين يصف آلام الناس وشقاءهم أيضا.

وأراد ولي الدين ان ينصح الذين يتقدمون للنقد فقال: «عرفت في أسفاري شيخا.. لزمته أياما فكان يحبوني نصحه. فكان مما قال لي: إذا هممت بعيب الناس فاجعل نفسك أول من تعيب. فمن لم يعلم من نفسه زلاتها، لم يعلم من الغير زلاته، ومن كان بعيدا عن معرفة حقائق ذاته، فهو عن معرفة حقائق الناس أبعد — وقد عاهدت الله لا آخذت امرأ قبل مؤاخذتي نفسي».

ولولي الدين يكن شعر هو مزيج من العذوبة والألم. فأنت تقرأ له قصيدة يتحدث فيها عن الألم، لكنك تقع، على الأقل بين سطورها، على بريق من العذوبة والأمل. وقد تقرأ له قصيدة هي وصف ليوم ضاحك من أيام الربيع، والقصيدة جيدة صادقة، لكن لا تلبث أن تلفحك منها لفحة ألم خفي لكنه موجع. شعر ولي الدين يكن، مثل نثره، هو «صفحة» نفسه وحياته. ومن الصعب أن نختار نموذجا لشعره، لكن لا يجوز أن نترك الرجل دون أن نورد له ولو بضعة أبيات.

يروي ولي الدين يكن قصة رجل أُنتُزِع من بيته، وكان بين أفراد أسرته، وأغرق في البوسفور. والوصف طويل وافٍ. وينتهي الكاتب بالقول: «قالت جرائد الاستانة (استانبول) الصادرة في ... عثر رجال الشرطة على جسد رجل بشاطىء البحر وقد تشوّه وجهه... وظهر أن بعض أعدائه الخائنين انفردوا به يوما فأغرقوه. وقد صدرت الارادة السلطانية بالجد في طلب الجانين». الأمران صادران من جهة واحدة.

وقد صَدَّر ولي الدين هذه المقالة بالأبيات التالية:

في ليلة ليس بها كوكب
كأنما مشرقها مغرب
يمسي سوادا كل ما بينها
فتحتها وفوقها غيهب
لا يدرك الفكر بها مطلبا
فكل ما يطلبه يهرب
جاءوا بمظلوم الى ظالم
قالوا له: «هذا هو المذنب»
بكى. وفي الدار بكوا مثله
فكل من في داره ينحب
وقد رأينا حوله صبية
تندب حين أمهم تندب
قال: اجعلوه مثل اترابه
من كان من مذهبه يذهب

***

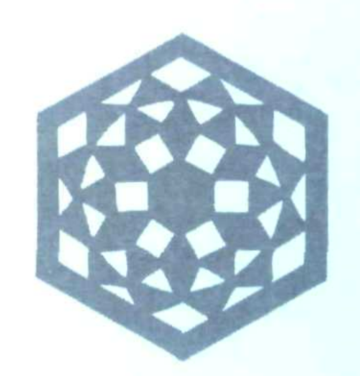
وأقبل الصبح على أيِّم
وصبية ليس لديهم أب
يا بحر لو تنطق اخبرتنا
ما قال من غيِّبت اذ غُيِّبوا

أما القصيدة التي أعجبتني منذ أن قرأتها قبل ستين سنة، ولا تزال تعجبني فهي التي عارض بها أحمد شوقي لمناسبة خلع السلطان عبدالحميد الثاني □

مناجاة الوطن في شعر الجزيرة والخليج العربي

(٢)

بقلم: عبدالله بن أحمد الشباط / الخبر



كنا قد تطرقنا في الحلقة الأولى الى عدد من الشعراء وقلبنا صفحات من شعرهم تحسسنا فيه مدى مناجاتهم للوطن. وها نحن نعود بهذه الحلقة لاستكمال ما تبقى، علّنا بهذا نكون قد اعطينا الموضوع شيئا من حقه.

ومشاعر الوطنية تتجلى لدى الشاعر «محمد بن علي السنوسي» في أبهى صورها حينما يقول:

يد الدهر لا تسخو بمجد لعاجز
ضعيف ولا تندى ولا تتبرع
لقد افصحت عن سرها لو تكلمت
حياة بقدر السعي تعطي وتمنع
وما قيمة الأوطان ان لم يكن لها
رجال يلذون الشقاء لينفعوا
حصدنا الضنى لما زرعنا له المنى
وجل حصاد المرء من حيث يزرع
ومن ضاق ذرعا بالحياة فانها
تضيق به وهو الكريم السميدع

وتستنهض الشاعرة «سعاد المبارك الصباح» أبناء الوطن الذين تعلق عليهم الأمل في الحفاظ على التراث وعلى الوطن وعلى مقدرته البشرية والمادية:

انهضوا لا النار والبترول في أيد امينة
لا ولا انتم على علم بأطماع دفينة
يا شبابي ان فيكم كل آمالي الرفيعة
وبلادي بين ايديكم تراث ووديعة

وحب الوطن لدى الشيخ «صقر القاسمي» يجعله يتغنى بأمجاده:

وطني منبت الكرام عُمان
وغياث المنكوب من كل بؤسٍ
عربي نما لقحطان ذي الفخر ونحّى من كل وغد أخسِ

ويحلو للشاعر «عبدالرحمن رفيع» أن يعدد مآثر بلاده ومفاخرها ويترنم بخيالاتها العذبة المرسومة في فؤاده:

موطني.. موطن الجمال ومهد العبقريات من سحيق العهود
يذكر (البوم) والشواطىء تروي قصة المجد في الزمان البعيد
من هنا أقلع الشراع فرفت في أعالي البحار بعض البنود
من هنا راحت السفائن تلقي اللآلي بكل صعيد

ويختمها بقوله:

أنت يا درة الخليج عروس بل ربيع من الشذى والورود

واذا كان ارباب المدن يفخرون بما في تلك المدن من عمارة.. ومدنية.. وأهل القرى يفخرون بما تمتاز به قراهم من هدوء وطبيعة وأنهار وأشجار.. فان الشاعر احمد المعتوق في غربته يجد في الصحراء شيئا لا يراه الآخرون حيث يقول في مطلع قصيدة طويلة له:

كجنــة بربــوة يغزل فيها المطــر
وسائدا مــن سندس..
تنتشر
يلحــن الغيوم طرة فتزهــر
وشاح فجرنا نهير اخضر
سنابل تبرعــم الضيــاء
تؤرجح النهــار مثل قبلة غريقــه
تضــج في ندائهــا
فيصمت الظــلام

و «أحمد محمدالسقاف» يرى أن كل بلاد العرب بلاده.. وأرضهم أرضه.. فهو في أي بقعة من الوطن العربي مواطن:

كل شبر من الــتراب العمــاني
هو قلبــي ومهجتي وكيانــي
افديــه وكــل حبــة رمــل
منه أغلى عندي من العقيــان
وله في دمي حقــوق وهــل ينـ
ـكر حق الديــار غير الجبان
أهلــه معشري فأنّى توجهـ
ـت وجدت الوجدان من وجداني
والاصــول التي نمتهم نمتني
واللسان المبين فيهــم لساني

أماالشيخ «عبدالعزيز بن حمد المبارك» المتوفى ١٣٥٩هـ فانه لا يمدح بلده، وإنما يرسم صورا تنطق بالجمال. جمال الطبيعة. وجمال العطاء. فيقول في مطلع قصيدة طويلة بهذا الصدد:

بلادي هي الدنيا ومن حل سوحها
هم الناس كل الناس في البدو والحضر
بلاد كما شاءت نفوس ذوي العــلا
أتت وحــوت ما لم يكن قط في مصر
فتربتهــا مسك وسلسل مــائهــا
نمير ومعتــل النسيم بهــا يســري
وايسر مــا فيهــا جنــان تنظمت
مـن النخـل والأشجار والنبت والزهر
فمن باسقات راسيات ضـوا مــن
لنا الخصب ان ضن السحاب بما الفطر

وتخاف الشاعرة «سعاد المبارك الصباح» على كويتها الغالية خوفها على فلذات أكبادها فتنادي أبناء الوطن عندما تقول في مطلع مقطوعة لها:

يا شبابي.. ان فيكم كل آمالي الرفيعه
وبلادي بين ايديكــم تراث ووديعه

أما «أحمد بن علي زيارة» فانه مهما تقلب في البلاد وسافر شرقا وغربا ورأى وعايش من الملذات.. فان كل ذلك يدعو الى الملل والسأم ما عدا الوطن فانه لا يمل.. ولا يستعاض عنه بشيء آخر في الوجود:

سئمت ملــذات الحيــاة وطيبهــا
سوى حب اوطاني فحبي لهــا ذخــر
أهيــم بهــا وجــدا وافدي بمهجتــي
رباهــا وان شط التجني والهجــر
ولــو نازعتني في هواهــا حشاشتي
لأخرجتها مــن اضلعي وانا الحــر
ولو ان مــن في الأرض خصمي وانني
على القرب منها ما احتوى مهجتي الذعر
ولو صارت الدنيا جحيما مسعــرا
وكنت بأوطاني لمــا مسني الحــر
ومــا انــا ممن غــره المال او طغى
على قلبــه السلطان والجاه والامــر
وحسبي من دنيــاي حبي لموطنــي
وذلك فخــر لا يعادلــه فخــر

ويصور الدكتور «مانع سعيد العتيبه» ذلك الشوق المتبادل بين الأرض ـــ الأم الحنون ـــ وبين أبنائها المخلصين في ملحمة «المسيرة» فيقول في احد مقاطعها:

كانت الأم عطاء دائمــا لا يستكين
فاذا ما حاق خطب فهي لي الدرع المكين
واذا ثارت ريــاح البحر واختــل السفين
وجد الأبناء فيها الشاطىء الرحب الأمــين
تتلقاهــم بشوق وحنــان وحنــين
هــي أرض وسماء ومــلاذ المتعبــين

أما الشاعر الفيلسوف «حمزة شحاتة» فانه يربط بين الأرض

والحب.. ويرى في الوطن مهد العشق ومنبت الغرام.. كما في قوله عن «جدة»:

النهى بين شاطئيك غريـــق
والهوى فيك حالم مـا يفيق
ورؤى الحب في رحابك شتى
يستفز الاسير منهـا الطليـق
ومعانيك في النفوس الصديات الى ريها المنيع رحيـق
(جدتي) انت عالم الشعر والفتـ
ـنة يروى بشاعر أو يـروق

ويحاول«محمد الملحم»أن يذكر بلاده الاحساء.. ويخصها بأحسن الأوصاف ويضفي عليها أحلى الصور. فيقول:

شدا بلبل الروض ألحانه
فأطـرب بالـــدوح افنانــه
وهب النسيم بوادي الحسا
فذكـرت الصـب اوطانـه
فراح يناجي العيـون التي
هواهـا يؤرق أجفـانـه
وظـل يـردد في لهفـــة
وقد غلب الحب كتمـانه
أحب الحسا وايامـــــه
واشتاق في الركب ركبانـه
وأهـوى المرابع مـن ارضها
واهـوى الفريـق وعنوانه
فذلك حبي الـذي لم أكـن
اطيـق مدى العمـر سلوانه

وينظر«جاسم النصرالله»الى وطنه نظرة كلها وداد ومحافظة على المواثيق والعهود التي أخذها على نفسه:

وطني نحو مائك العذب حنّـا
مغرم طير قلبه فيك يغنى
يا بلاد الحبيب مسقط رأسي
وأمانـي الكئيب اذ يتمنى
يا بلادي ويا سميرة روحي
كيف يسلوك مولـع ومعنّى

يا أوال مرضت من طول بعدي
هل دواء من المحرق يجنـى
أنا ما زلت حافظا لعهودي
واكيل الوفاء وزنـا فوزنا

و «عبدالله الخليلي» يتحدث عن وطنه حديثا مليئا بالفخر والاعجاب لأنها موطن العلم والشعر منذ القدم:

قم عانق المجد مشدودا على عنق العلياء والعلم في عز واجلال
وخلد الذكر للامجاد ما تليت آي المحامد في مقل واقـوال
وارسم شقائق نعمان بخارطة في صفحة الميم قبل الجيم والدال
وسل عمانا وقد سالت مواهبها على البسيطة سلها بالهوى الغالي
سلها عن العلم في احياء دوحتها.. سلها عن الشعر سيالا كسلسال

أما الشاعر «حسين عامر» فتؤرقه الغربة ويفرح بالعودة الى أرض الوطن ولا يملك إلا أن يهتف وهو يقبل تراب الأرض:

وكنت على الذكرى اعيش بغربتي
وقد هدّني بعض السرى والتنقـل

فلم تك تغريني من الأرض بقعة
سوى وطني مذ كنت بالصّحب أحفل

ولم أك عنهم لاهيـا غير اننـي
ذهبت وما اشكو من الداء معضل

طويت شراعي واستقرت سفينتي
وها أنذا قد عدت والعود أجمل

والأمير «عبدالله الفيصل» يبلغ أوج الاحساس في التعبير عن التفاني في سبيل الوطن:

أفديك يا وطني اذا عز الفدا
بأعز ما جاءت به نعم الحياه
كل الوجود وما احتواه الى الفنا
الا هواك يظل مرفوعا لواه
يا فجر احلامي وآمالي التي
تحيا وتحلو في مغانيك الحياه

ويغني «حسين قاضي» لوطنه أغنية مليئة بالحب والتقدير

كله هوى وكله وله وانعتاق فيناجيه مناجاة الحبيب للحبيب فيقول:

وطني يا ثرى تفدّيـه نفسي
يا هوى جارفا تملك حسي
انت رمز مقدس في ضميري
ودمي يفتديه من كل رجس
حبه خامر الضلوع نسيما
فيه روحي وفيه سلوة نفسي
قد سرى في الحشا غذاء وماء
وسرى في العروق احمر قدسي

ويهتف «سراج خراز» مناديا الوطن معترفا بما له من واجب مقدس في أعناق أبنائه:

ايـه يـا موطني فديتك منـي
عن سخاء ان تدعني واحتساب
ما به قـد يجـود كل شجاع
في احتدام الوغى وهـول الضراب
اي نعمى قلدتني؟ لست بالـ
ـجاحد آثارهـا على الاحقـاب
قد رعتني طفلا وقادت سفينتي
في خضم من الحيـاة عبـاب
في معاليك ما لقيت وألقـى
من عناء جـم ومن أوصـاب

ويستنهض الشاعر «يحيى حسن توفيق» همم أبناء الوطن لنبذ اليأس رغم كل ما مر بهم من احداث وما سيمر بهم من معوقات.. يستنهضهم ليطرحوا اليأس.. ويزرعوا الأمل ويفيقوا من سبات ران عليهم كثيرا لأن الغرب اسدل عليه ستائره.. فيقول من قصيدة بعنوان (بني وطني):

بني وطني أيأس في كفـاح
وهل في اليأس عـزم للمريـد
أليم أن أرى قومـي أسارى
لأحقـاد وزيـف او جمـود
هـوان ان ارى قومي فـداء
وقربانـا لاطمـاع اليهـود
وهل يرضـى المهانة ذو ابـاء
ويرضى الـذل اشبال الاسـود

وفي قصيدة «اغنية الوطن» يحاول «علي محمد صيقل» ان يتجاوز المسافات ويقرب الصور الى ذهن القارئ والمستمع.. فيقول:

وشم على ساعدي.. نقش على بدني
وفي الفؤاد.. وفي العينين يا وطني
شمسا حملتك فوق الرأس فانسكبت
مساحة.. ثرة الأضواء تغمـرني
قبلت فيك الثرى حبا.. وفوق فمي
مـن اسمرار الثرى حب تملكني
وانـداح في خافقي.. سحرا وترنمة
وذكريـات.. وآمـالا تضمدنـي
قصيدتـي أنت.. منذ البدء لحَّنها
اجدادي الشم فانثالت الى أذني

والشاعر «محمود شوقي الأيوبي» في قصائده الوطنية التي تكاد تطغى على كل ابداعاته.. يرى في وطنه شيئا لا يراه الآخرون لأنه افتقد هذا الوطن او افتقده الوطن مدة تضاهي الربع قرن وهو في حالة اغتراب بعيدا عن تراب أرضه.. فأخذ يعزف على نغمة الوطن يبثه غرامه وهواه:

ناديت لؤلؤة الخليج فداك روحي وروحي بعض من يهواك
نظرت تخازر للمعاني سرها عيناي في سكر الهوى لرضاك
وتبث بين أضالعي نغم الهوى لما لمست بمهجتي رياك
انا في مغانيك استعدت صبابتي فشدوت لما ان وطئت ثراك

وبعد ان الشعراء في الجزيرة والخليج العربي الذين خلدوا الوطن في اشعارهم كثيرون ولا يمكن احصاؤهم او احصاء ما قالوه من الشعر المتفجر بالعواطف الوطنية التي شهدها هذا الوطن وحبهم الكبير له.. وما له من مكانة تتغلغل في الشعور المرتبط بآمالهم وتطلعاتهم نحو المستقبل..

وما هذا الا غيض من فيض.. وقطرة من بحر.. أحببت إثباته كوسام على صدور الشعراء من أبناء هذا الوطن الغالي □



بقلم : د. أحمد عبد القادر المهندس / جامعة الملك سعود

توضح هذه الصورة مقطعا لخلايا نبات الاناناس التي تُري ايضا حبوب اللقاح المتطورة.

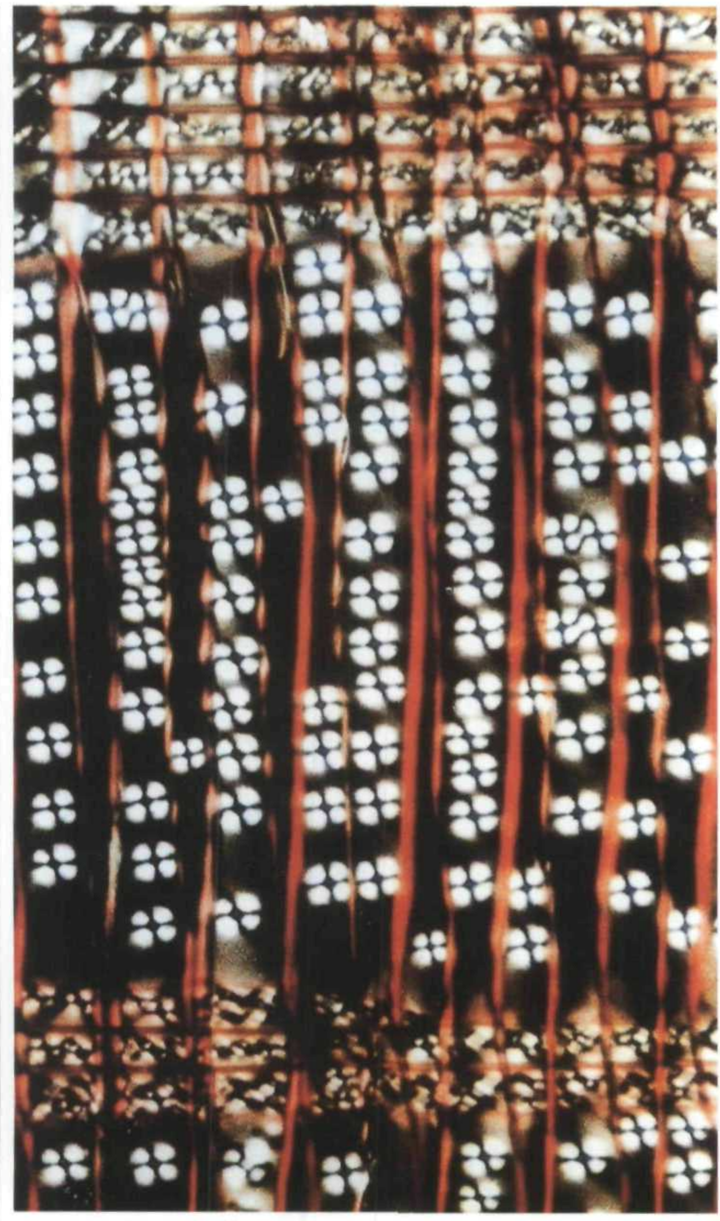
معظم الاشياء التي نراها سواء كانت جماداً أو نباتا أو حيوانا يفيض بكثير من الابداع والدقة التي اودعها الله جلت قدرته كل ذرة من هذا الكون الفسيح، بدءا من ذرة الهيدروجين وحتى اكبر المجرات في اقصى ابعاد هذا الكون. فالنباتات بما تشمله من زهور وورود وخمائل وأشجار تتسم بالجمال والابداع والتناسق. فغصن صغير ألقت به الرياح على الأرض ربما لا يثير اهتمامك، ولكن علماء النبات يستطيعون ان يستخرجوا الكثير من اسرار الخالق بدراسة هذا الغصن الصغير. فاذا ما اخذت هذا الغصن وقطعته الى شرائح صغيرة ثم صبغته وقمت بتصويره بجهاز تصوير خاص في المجهر مستخدما الضوء المستقطب، فانك ستكتشف انماطا مختلفة من الخلايا النباتية التي تشكل احيانا صورا فنية رائعة.

البناء الداخلي للنباتات

تكشف الدراسات المجهرية للنباتات عن تراكيب كثيرة لخلاياها الداخلية. فبعض انواع هذه النباتات له أشكال معقدة من الخلايا المتشابكة. وبعضها معقد الى درجة كبيرة وكأنها خلايا الحاسب الآلي او انصاف الموصّلات الترانزستور من شظايا الكوارتز والجرمانيوم. وبعض خلايا النباتات الجافة تشبه اللوحات السريالية المرسومة على الزجاج المصبوغ او النسيج الممزق. ولدى قيام احد الباحثين بدراسة هذه الخلايا، فانه يعتمد في دراسته على نوع الشجرة والفترة الزمنية التي يقوم بدراستها خلال العام. وتعرض الخلايا النباتية تنوعا في الأشكال والأحجام والوظائف. فالنباتات التي تؤخذ في وقت مبكر من العام تكون عبارة عن طبقة الخلايا التي تنتجها الشجرة في بداية الربيع. وتحتوي هذه النباتات عادة على بعض الخلايا الكبيرة وذلك لنقل الماء والغذاء بسرعة وفاعلية الى بقية اجزاء الشجرة.

ان وظيفة الخلايا النباتية تحدد عادة شكلها وحجمها. فالنباتات الطرية التي وجدت منذ حوالي (٣٠٠ مليون سنة) تكون مركبة من خلايا مستدقة الأطراف رفيعة وطويلة. وهذه الخلايا المجوفة تسمح للماء والغذاء بالوصول الى اعلى الجذع كنتيجة للتبخر في الأوراق العليا، كما أن هذه الخلايا تدعم وتقوي النباتات.

اما النباتات الصلبة فهي حديثة الأصل، وأحدث عمرا من النباتات الطرية الآنفة الذكر بحوالي (١٥٠ مليون سنة) على الأقل. وتقوم خلايا هذه النباتات بوظائف اكثر تخصصا، فبعضها يقوم بحمل الغذاء فقط، وبعضها يساعد في تدعيم الشجرة ويكون رفيعا ولكنه اكثر قوة.



الثقوب البيض في هذه الخلايا الحمر تسمح للماء والغذاء بالانتقال بسهولة الى الجذع.

تكوّن الخلايا النباتية اطارا مميزا لكل فصيلة من فصائل النباتات كما تميز بصمات الأصابع ذلك الانسان من بين بلايين البشر.

معجزة الخالق ورئة الحياة

قد يكون من المستحيل ان نتنفس او نأكل بدون وجود النباتات.. ففي السطح السفلي لكل ورقة نبات، ملايين الشفاه المتحركة التي تقوم بامتصاص ثاني اكسيد الكربون من الجو وانتاج الاكسجين.



مقطع من نبات «الطقسوس — Yew» الذي يحتوي على خلايا انبوبية متوازية تتولى نقل الماء والغذاء الى اعلى بسهولة.

خلايا نبات «الشوكران»، والتي تبدو على شكل تماثل هندسي منظم.

ان على سطح هذه الأرض ما لا يقل عن ٢٥ مليون ميل مربع، من اوراق النباتات التي تتولى يوميا تزويدنا بالاكسجين، اكسير الحياة، بالنسبة لنا. كما اننا نعتمد على النباتات في طعامنا وردائنا ووقودنا. كما نعتمد عليها في صناعة الورق الذي ندون عليه افكارنا وآدابنا وعلومنا واشعارنا ونبضات قلوبنا. كما اننا نتبادل الزهور تعبيرا عن مشاعر الصداقة والود والإخاء. فالحدائق الحافلة بالنباتات هي رئة الحياة ومصدر المتعة والجمال لعيوننا، ومنبع الغبطة والراحة لنفوسنا.

تأمّل .. وتفكّر في أسرار الوجود

تأمل معي عزيزي القارىء الصور المعروضة، فستجد ان بعضها يبدو على شكل متماثل هندسيا، وبعضها على شكل شظايا الترانزستور، وبعضها على شكل لوحة سيريالية، واخرى تجريدية او تكعيبية. واذا كان العمل الفني هو تعبير عما يحيط بالانسان من اسرار الوجود وينابيع الجمال في الكون والناس والاشياء والاحداث، فما احرى الانسان ايضا بأن يتأمل قدرة الخالق العظيم في كل شيء، وأن يتأمل في مصادر الجمال والتماثل التي أبدعها خالقها سبحانه عز وجل في الطبيعة والناس والاشياء □

أدباء من المملكة العربية السعودية:

رسالة من محمد علي مغربي

بعث الاستاذ محمد علي مغربي بهذه الرسالة الى الاستاذ الدكتور مصطفى ابراهيم حسين بجامعة الملك سعود الذي ندبته القافلة لكتابة مقالات ثابتة عن أدباء من المملكة، فما كان من الاستاذ مصطفى الا ان بعث لنا صورة منها. وبعد حين تسلمت القافلة صورة من الرسالة نفسها من الاستاذ محمد مغربي. وقد أشار الاستاذ مغربي في رسالته للقافلة الى مدى الاستفادة التي يمكن ان تحقق بنشر هذه الرسالة خاصة وانها سلطت بعض الأضواء على جانب من تلك الدراسة عن الاستاذ مغربي والتي نشرت في عدد ربيع الآخرة ١٤٠٨هـ من مجلة القافلة.

والواقع اننا نرحب بهذه الرسالة والملاحظات التي ابداها الاستاذ مغربي وهي ذات فوائد جمة في مجال الدراسة الآنفة الذكر. لذا يسعدنا نشرها كما جاءت من الاستاذ مغربي. وانني انتهز هذه الفرصة لأعرب للاستاذ مغربي والاستاذ الدكتور مصطفى ابراهيم عن امتنان المسؤولين في المجلة لهذه البادرة الطيبة في مجال البحث والدراسة الموضوعية الجادة، كما لا يفوتني ان اذكر ان رسالة الاستاذ مغربي وملاحظاته تتفق تماما مع النهج الذي تسير عليه القافلة، ولذا فانه يسرنا دائما ان نتلقى من الأدباء السعوديين، او من ذوي من توفاهم الله ممن ننشر عنهم دراسات ما يعنّ لهم من ملاحظات حول ما يكتب في هذا الباب الذي مضى عليه أكثر من سنتين، وفي الوقت ذاته ندعو الأدباء والمفكرين في المملكة الذين لم نتناولهم بالدراسة بعد، ان يبعثوا الينا بانتاجهم مشفوعا بسيرتهم الذاتية وباشارات الى المصادر والمراجع التي تناولت انتاجهم بالدراسة حتى تشارك القافلة بالكتابة عنهم في هذا الباب الثابت.

والآن مع رسالة الاستاذ محمد علي مغربي وملاحظاته القيمة:

استاذنا الجليل الأخ الدكتور مصطفى ابراهيم حسين حفظه الله
سلام الله عليك ورحمته وبركاته:

وبعد، فان ما كتبته يا سيدي الفاضل عن مؤلفاتي يتميز بأشياء كثيرة: يتميز اولا، بالانصاف الذي افتقدناه في هذا الزمان، والذي انشغل فيه الناس عن الدراسات الادبية الجادة المنصفة. وتجيء هذه البادرة الكريمة من الاستاذ الجليل في الوقت الذي نرى فيه تعتيما متعمدا من بعض القائمين على الصحافة والنشر للانتاج الأدبي الجاد، بينما يفسح المجال لهذا الغثاء الكثير الذي يزعمون له الحداثة وكأن الحداثة هي الغموض والهلوسات الكلامية اذا صح هذا التعبير.

استطيع ان اذكر لأستاذنا الجليل انني سعدت كثيرا بقراءة بحثه القيم لمؤلفاتي وقد اعجبت اكثر بالتعبير الجيد عن اهداف هذه المؤلفات والدوافع التي حدت بالمؤلف الى تأليفها وبذل الجهد فيها، وهو أمر لم يتنبه له الأخوة الكثيرون الذين كتبوا عن أعلام الحجاز بالذات وعن الجزء الأول منه بصورة خاصة.

لقد كنت دائما أقابل بالعتاب الشديد من قبل بعض الأخوة والاصدقاء لأني لم اكتب عن آبائهم أو أجدادهم أو ذوي قراباتهم ممن حسبوا انهم ليسوا أقل شأنا من الرجال الذين كتبت عنهم في الاعلام. وكنت أقول لهم دائما انني لا اكتب عن الأعيان،ولكني اكتب عن الاعلام، والفارق بين الصنفين واضح، وقد عبَّرت عنه في مقدمة اعلام الحجاز في جزئيه الأول والثاني وفي طبعتيه الأولى والثانية. لقد فقدت بعض الأصدقاء لأني لم اسلك آباءهم او اجدادهم في عقد اعلام الحجاز، ولقد تطاول عليَّ احدهم في ليلة من ليالي رمضان لاني لم اكتب عن جده العظيم.. فغضبت وفي تلك الغضبة قررت الكتابة عن اعلام الصحابة بدلا من اعلام الحجاز.. وألَّفت كتابي «ابو بكر» ثم «عمر» ثم عدت مرة اخرى فأصدرت الجزء الثاني من اعلام الحجاز..

وقبل أن اختم حديثي عن اعلام الحجاز أود أن أذكر للاستاذ الجليل ان الكتاب الذي اصدره الشيخ محمد سرور الصبان هو ــ ادب الحجاز ــ وليس ــ ادب الناشئة الحجازية ــ وهذا الاسم الاخير هو كتاب جمعه الاستاذ عبدالسلام الساسي واصدره بعنوان نفثات من اقلام الشباب الحجازي، كما ان صحة الاسم للكتاب الثاني الذي اصدره الشيخ محمد سرور الصبان هو المعرض ــ وليس المعراض كما ورد خطأً في حديث الاستاذ عنه...

واكتفي الآن بالحديث عن اعلام الحجاز لاتحدث عن اعلام الصحابة.

لقد احسن الاستاذ الجليل التعبير عما في نفسي حينما ذكر ان الهدف كان هو تنقية التاريخ الاسلامي من الشوائب الكثيرة التي أدخلت عليه من الروايات الكاذبة والمدسوسة. والى جانب هذا الغرض هو تقديم هذا التاريخ للقارئين بأسلوب العصر، فان الرجوع الى المصادر التاريخية الاصيلة ليس مما يطيقه القارىء العادي ولا حتى القارىء المثقف. ولهذا فان الرجوع الى هذه الموسوعات التاريخية واستخلاص حقائق الاحداث منها يحتاج الى صبر ومراجعة لا يقوى عليها الا من فرغ نفسه لهذه الغاية.

ولا اكتم الاستاذ الجليل اني تعمدت البعد عن قراءة ما كتبه المؤرخون المعاصرون او على الاصح اعادة هذه القراءة لأني قرأت ذلك حين صدرت. وكان الغرض هو الابتعاد عن التأثر بما كتبه الاساتذة المعاصرون. اما تعليق الاستاذ الجليل على ما كتبته عن المطاعن التي دسها المستشرقون وتأثر بها بعض الاساتذة الكبار ممن ألّفوا في التاريخ الاسلامي، فهي ملاحظة قيمة، وأود ان اذكر انني لم اتطرق في صلب مؤلفاتي الى المستشرقين، وانما ذكرت ما ذكرته عنهم في مقدمات هذه المؤلفات، وأحسب ان المقدمة لا تتسع لايراد الامثلة، مع ذلك فاني اذكر للاستاذ الجليل على سبيل المثال ما يأتي:

ذكر الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه-الفاروق عمر ابن الخطاب ــ ان عمر رضي الله عنه حينما عهد اليه ابو بكر بالخلافة،كره المسلمون خلافته، وانه حينما قام ينتدب الناس للذهاب الى العراق بعد ان استرد الفرس انفاسهم بعد رحيل خالد بن الوليد بنصف الجيش الى الشام، واخذوا يهددون المسلمين ويغيرون على السواد، حينما قام عمر رضي الله عنه ينتدب الناس لقتال الفرس في العراق استمر في دعوته الناس للانتداب ثلاثة أيام فلم يستجب له احد فرأى ان يتقرب الى الناس باطلاق سبايا العرب فاعلن على الناس انه اعتق سبايا العرب.

هذا الخبر او على الاصح هذه الاخبار فيها من الدس الذي استلهمه الدكتور محمد حسين هيكل،رحمه الله،من كتب المستشرقين ما فيه، والحقيقة هي ما ذكرته من ان بعض الناس خشوا من شدة عمر رضي الله عنه على المسلمين فدخلوا على أبي بكر وهو يعاني من المرض فسألوه ماذا تقول لربك اذا سألك من استخلفت على عباده؟ فقال رضي الله عنه بعد أن أجلسوه أقول له استخلفت عليهم خير خلقك عمر بن الخطاب. ثم خرج عثمان رضي الله عنه بالكتاب الذي عهد فيه ابو بكر بالبيعة الى عمر وسأل الناس هل ترضون بما في هذا الكتاب قالوا جميعا نعم نرضى به، انه عمر.

اما موضوع الانتداب لقتال الفرس،فان الناس كانوا يتهيبون الاقدام على هذا الامر بالرغم من تمنيهم للجهاد. واني

اتصور لو ان انسانا اقدم مثلا،على دعوة الناس للتطوع لقتال امريكا او قتال روسيا في الوقت الحاضر، فماذا يا ترى يكون شعور الناس لأول وهلة ازاء هذه الدعوة؟

ان الذي وقع بالنسبة لدعوة المسلمين التي دعاها عمر رضي الله عنه في أول أيام خلافته لقتال الفرس، هو ان المسلمين أُخِذُوا بهذه الدعوة، وتهيبوا الاقدام على الاستجابة لثلاثة أيام، ثم اقدموا على ذلك وكان أول من استجاب تابعي جليل هو ابو عبيد بن مسعود ولم يكن صحابيا فامَّره عمر رضي الله تعالى عنه،ولم يؤمِّر على الجيش رجلا من السابقين من المهاجرين والانصار لأن أبا عبيد كان أول من استجاب.

ونجيء الآن الى قصة اطلاق السبايا من العرب،فان عمر رضي الله عنه لم يأمر باطلاق الرقيق من سبايا العرب الا بعد ان طعن الطعنة التي توفي فيها،فقال رضي الله عنه:اعلموا اني لم استخلف وانه من ادرك وفاتي من سبي العرب ومن مال الله فهو حر. وزاد على ذلك فاعتق كل مملوك له قبل وفاته. وقد ذكرت هذا بتفصيله في كتابي — عمر بن الخطاب امير المؤمنين — ويتضح من ذلك ان عمر لم يطلق سبايا العرب في الأيام الأولى لخلافته لتأليف قلوب الناس من حوله وانما اعتق هؤلاء السبايا بعد عشر سنوات من هذا التاريخ وحينما كان يستعد للقاء ربه رضي الله عنه وأرضاه.

وواضح ان الرواية التي رواها الدكتور محمد حسين هيكل غفر الله له توحي بكره المسلمين لخلافة عمر، وانه انما تألف الناس باطلاق السبايا في الأيام الأولى لخلافته، وهذا كذب صراح استوحاه الدكتور هيكل مما كتبه المستشرقون.

وكما ذكرت للاستاذ الجليل لم استحسن ان ادرج امثال هذه الملاحظات في المقدمات التي كتبتها، لأني رأيت ان المقام لا يتسع لمثل ذلك.

هذا مثال واحد على ما دسه المستشرقون في كتب الاساتذة الكبار، ولا يخفى على استاذنا الجليل ان كتب الدكتور طه حسين مليئة بهذا وبأكثر منه.فقد كان يعتمد على الروايات الضعيفة ويبني عليها اراءه ويستنتج منها الأحكام، ويتذرع بحجة انه لا يكتب التاريخ وانما يكتب ملاحظات عنت له،وهو يطالع كتب المؤرخين. وليس هذا بالعذر المقبول، فالرجل كاتب جهير يتمتع بجمهور عريض، وتقرأ كتبه في جميع الأقطار العربية والاسلامية، وهو يكتب عن خلفاء المسلمين الراشدين، ولكن الرجل تأثر بآراء المستشرقين ونهج نهجهم فهو يسير في ركابهم.

لقد فكرت في وقت من الأوقات التصدي لأمثال هذه الترهات ودحضها ولكني وجدت ان من الاولى كتابة التاريخ بالأسلوب الذي اتبعته. ويعلم الاستاذ الجليل ان التأليف في هذا المجال على رغم كثرته الكاثرة مفيد لأن كل كتاب جديد يذكر الناس بهذا الماضي المجيد.

ولا أريد أن أطيل على الاستاذ في هذا الأمر فلعله يعرف ما اعرف عن كتب عبدالرحمن الشرقاوي والمعركة التي دارت بينه وبين الشيخ محمد الغزالي بسبب افتراءاته على عثمان رضي الله تعالى عنه. بعض الناس اذا ارادوا الثناء على انسان، عمدوا الى ذم من يتصورون انه كان له منافسا او خصيما، وهذا هو الخطأ القاتل الذي وقع فيه الشرقاوي فيما أظن.

ذكر الاستاذ الجليل ان المؤلف في بعض الأحيان، ينقل اخبارا عن غير المصدر الاصيل، وهو ما لا يتسق مع نهجه في التحري وايثار المصادر الاصلية. ارجو ان يتكرم الاستاذ الجليل بايضاح هذه الملاحظة وحبذا لو زودني بما يدل عليها من كتبي في اعلام الصحابة.

الملاحظة الاخيرة على اثبات هوامش كتاب ابي بكر الصديق في آخر الكتاب كانت نتيجة كسل من القائمين على المطبعة التي طبعت الكتاب، ووجدوا فيها سهولة بدلا من اثبات الهوامش في اماكنها من الصفحات، وقد تداركت ذلك في بقية السلسلة من اعلام الصحابة كما لا بد وان يكون قد لاحظ ذلك استاذنا الجليل، وسأراعي هذا الأمر حين اصدار الطبعة الثانية من ابي بكر الصديق باذن الله.

اود ان اذكر للاستاذ الجليل اني لا اعترض على رأيه في البعث فالرواية اذا صحت تسميتها كذلك تهدف الى الاصلاح والنهوض، ولكني اود ان اؤكد لاستاذنا الجليل ان قصة البعث ليست قصة حياتي الشخصية، لقد اخذت بعض ما فيها من قصة صديق من اصدقاء الصبا اصيب بالدرن وسافر الى الهند واتصلت اسبابه بأسباب ممرضة هندوكية، وليست بوذية، ولم تنته علاقته بها بالزواج، ولم تدخل الفتاة في الاسلام او تفد الى الحجاز. كلما في قصة البعث هو ما عرفته عن قصة صديق الصبا هذا، ثم ما جاء بعدها خيال في خيال.

واخيرا أود ان اذكر للاستاذ الجليل ان صحيفة صوت الحجاز لم تستمر في الصدور، وانما استمرت دون غيرها من الصحف تقبض المعونة الشهرية، لان ايقاف الصحف كانت سياسة اتبعها الملك عبدالعزيز مبالغة في الحياد ازاء الحرب العالمية الثانية.

واخيرا اكرر الشكر للاستاذ الجليل على بحثه القيم وثنائه على اخيه واتمنى له التوفيق كما اتمنى ان ألقاه قريبا في خير وسعادة □

محمد علي مغربي/ جدة

كتب مهداة

▫ حظيت مكتبة القافلة مؤخرا بكتاب **«الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء»** لمؤلفه لسان اليمن الحسن بن احمد الهمداني، تحقيق الاستاذ حمد الجاسر. والكتاب يتحدث عن التعدين في بلاد العرب، خاصة ما يتعلق بصناعة الذهب والفضة. وقد اعد هذا الكتاب ونشره الاستاذ الجاسر في ما يزيد عن اربعمائة صفحة من الحجم المتوسط، عدا الفهرس الذي اشتمل على المواضيع العامة، والآيات القرآنية، والاحاديث، والمعادن والاملاح واسمائها وادواتها، والنقود، والمواضيع، والاعلام، والقبائل والجماعات، والنبات والحيوان، والشعر، والأمثال، والكتب والصحف، والتي وقعت جميعها في حوالي خمسين صفحة من صفحات الكتاب.

▫ اهدى الاستاذ محمد سعيد الباعشن للقافلة كتابه الجديد **«العواد وهؤلاء»**، والذي ضم مجموعة كبيرة من مقالات متعددة نشرها عدد من المفكرين والادباء في الصحف والمجلات المحلية في ذكرى محمد حسن عواد، رحمه الله، ويقع في اكثر من اربعمائة صفحة.

▫ **«عسير ــ دراسة تاريخية»** للاستاذ علي احمد عيسى عسيري، ونشر نادي أبها الأدبي. يقع الكتاب في نحو ٤٣٤ صفحة عدا الملاحق الخاصة بالوثائق. وتطرق المؤلف في كتابه الى الحديث عن تطور مفهوم حدود عسير الجغرافية والتاريخية وتنظيماتها القبلية وموقف تلك القبائل من قوات محمد علي، ثم علاقة امارة عسير بنجد والحجاز وبالمخلاف السليماني والدولة العثمانية كما تحدث عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية.

▫ **«الجغرافيا الزراعية لمنطقة عسير»** تأليف الاستاذ احمد محمد حيدر، ونشر نادي أبها الأدبي. يقع الكتاب في اكثر من ٤٠٠ صفحة. وقد قسم المؤلف كتابه الى خمسة فصول تحدث فيها عن الضوابط الطبيعية والبشرية للزراعة، فالخصائص الزراعية والانتاج الزراعي، فالثروة الحيوانية والغابات، ثم ختمها بالحديث عن مستقبل الزراعة في عسير.

▫ **«إما حب او لا حب»** ديوان شعر للدكتور عبدالعزيز شرف. يقع الديوان في ١٧٠ صفحة ويحتوي على ١٨ قصيدة متنوعة المواضيع والغايات، وهو من مطبوعات مكتبة مصر. وتقديم المفكر الكبير الراحل توفيق الحكيم.

▫ **«بريدة»** دراسة في جزءين للاستاذ فهد بن صالح العبدالله الربدي يقع الجزء الأول في اكثر من ٣٠٠ صفحة وهو خاص بدراسة الخصائص الطبيعية والسكانية لمدينة بريدة، ويقع الجزء الثاني في نحو ٤٦٠ صفحة وهو خاص بنمو بريدة الحضري وعلاقاتها الاقليمية وقد زود المؤلف دراسته بالعديد من الخرائط والرسوم البيانية والصور والجداول الاحصائية ومن الناحية الجغرافية تعتبر الدراسة شاملة لمنطقة القصيم.

▫ **«التعليم العالي في المملكة العربية السعودية»** كتاب يشكل التقرير الدوري الثالث لوزارة التعليم العالي في عشر سنوات. يقع التقرير في ٢٩٢ صفحة، وهو مقسم الى ثلاثة ابواب تشتمل على ١٦ فصلا. في الباب الأول حديث عام عن وزارة التعليم العالي في عشر سنوات. وفي الباب الثاني حديث عن التعليم الجامعي والامانة العامة للمجلس الاعلى للجامعات، وعن الجامعات السبع في المملكة، وقد خصص لكل منها فصل بكامله. اما الباب الثالث فيتحدث عن المؤسسات الثقافية المرتبطة بوزير التعليم العالي. والكتاب مزود بالصور والتقارير والرسوم البيانية التي توضح تقدم التعليم العالي في المملكة.

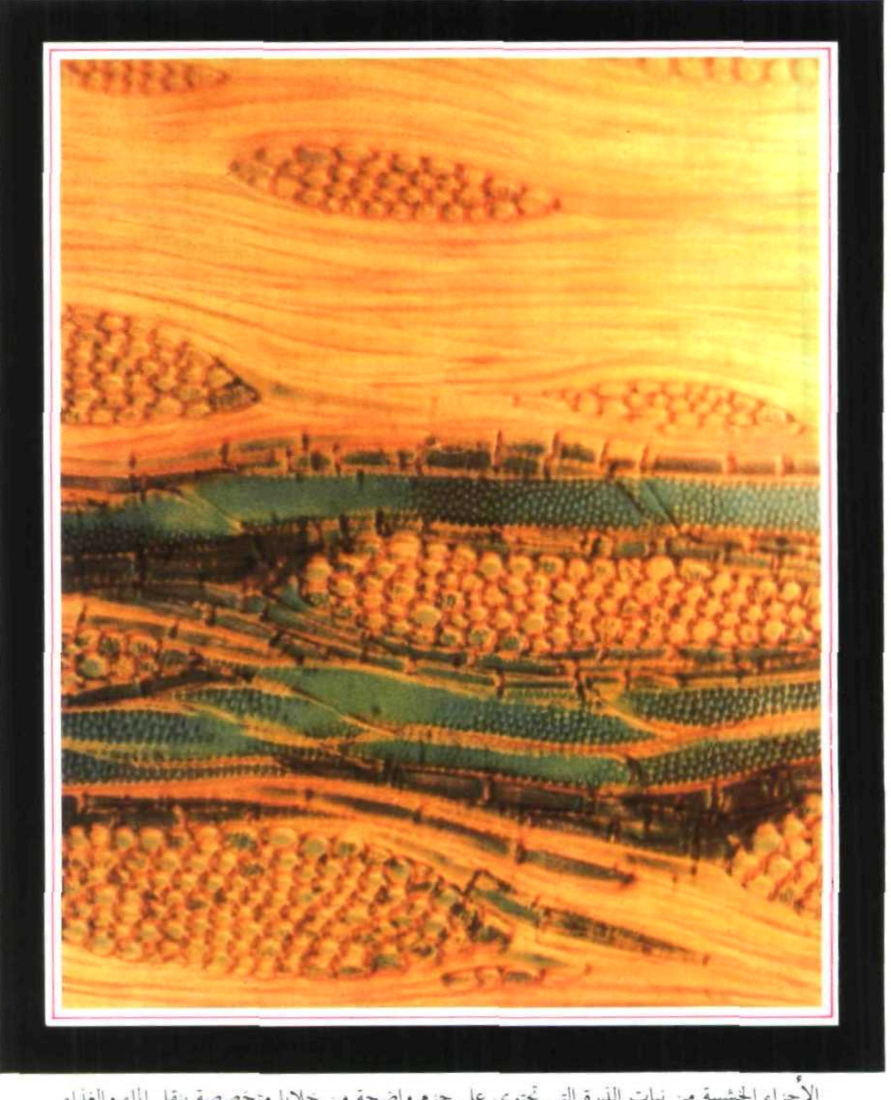
▫ **«المرشد في الاملاء»** للدكتور محمود شاكر سعيد ونشر مكتبة الاديب بالرياض. يقع الكتاب في ٨٦ صفحة ضمنها المؤلف جملة فوائد تعين الدارسين على الكتابة الاملائية الصحيحة، وطريقة وصل بعض الكلمات والاحرف وتفاوت معانيها ودلالاتها.

▫ **«خارطة المرايا»** ديوان شعر للاستاذ عبدالله الخشرمي. يقع الكتاب في ١٢٧ صفحة تشتمل على ١٩ قصيدة ذات أغراض اجتماعية وانسانية ووطنية متنوعة ☐





راجع مقال: «عـالم النحل».



الأجزاء الخشبية من نبات الذرة التي تحتوي على حزم واضحة من خلايا متخصصة بنقل الماء والغذاء.
راجع مقال: « التركيب الداخلي للنبات ».